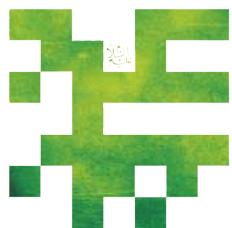


**النور الباهر
بين الخطباء والمنابر**

السيد عادل العلوى

العلوي الميسرة للشباب



علوي، عادل، ١٩٥٥ م.
النور الباهر بين الخطباء والمنابر / تأليف: عادل العلوى.
قم: المؤسسة الإسلامية العالمية والإرشاد، ١٤٣٥ ق. = ١٣٩٣.
ص. شابك: ٩٧٨-٦٠٠-٦١٩٧-٣٣-٣ ISBN: 978-600-6197-33-3
موسوعة رسالات الإسلامية .
ووضعيت فهرست نويسى: فيها .
عربى. كتاباته: ص. ١٤١ - ١٤٢؛ همچنین به صورت زیرنویس .
محمد عليه السلام، بیامبر اسلام، ۵۳، قبل از هجرت - ١١ ق. -- در قرآن
١٣٩٠
٢٢٧٢٠٢٧
ع ٢٧٨ BP ١٠٤ / ٢٩٧ / ١٥٩

موسوعة العلوي الميسرة للشباب

- **الكتاب :** النور الباهر بين الخطباء والمنابر
- **تأليف :** السيد عادل العلوى
- **الناشر :** المؤسسة الإسلامية العالمية للتبلیغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
- **الطبعة :** الأولى ١٤٣٥ هجري قمرى
- **التنضيد والإخراج الكومبيوترى :** محسن الحامدى

شابك : ISBN : 978 - 600 - 6197 - - -

شابك (دورة ١٠٠ جلد) : X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

الموقع الإلكتروني: Maktab@Alawy.Net البريد الإلكتروني: www.Alawy.Net
موقع مؤسسة التبلیغ والإرشاد: www.Altabliq.Com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

النور الباهر بين الخطباء والمنابر^(١)

الحمد لله الذي علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصلة والسلام على أشرف خلقه، وسيد رسلي، أبي القاسم محمد، وعلى آله المعصومين الطاهرين، ولا سيما بقية الله في الأرضين، مولانا الإمام المهدى المنتظر، عجل الله فرجه الشريف.

ربى أنطقنى بالهدى وأهمنى التقوى:

قال الله سبحانه في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾

١. مادة أولية لمحاضرات إسلامية ألقاها الكاتب في مدرسة الخطباء والمبغين في حرم مولانا وأمامنا سيد الشهداء عليه السلام بطلب من الأخ الكريم الشيخ عبد الأمير المنصورى دام عزه وهو من المنتسبين في العتبة الحسينية المباركة.

الإهداء

إلى سيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام
إلى شبابنا المتعطش لمعارف الإسلام جيلاً بعد جيل
إليكم يا شباب الأمة الإسلامية المعاصرة
إلى كل شاب وشابة أقدم هذا المجهود المتواضع برجاء
القبول والدعاء والشفاعة.

العبد

عادل بن السيد علي العلوى
الحوزة العلمية - قم المقدسة

وثانياً: أن يقولوا قولًا سديداً قوياً مستحکماً كالسد المترافق والصلب.

ثم نتيجة الایمان والتقوى والقول السديد أن يصلح الله أعمالهم في الحال والمستقبل، ويغفر لهم ذنبوهم فيما مضى وإنقضى، وهذا من نتائج إطاعة الله ورسوله، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، بنحو خارج عن تصور البشر.

﴿وَمَنْ أَحْسَنْ قَوْلًا مِّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)

ولا يخفى إن في عصرنا هذا المعروف بعصر الارتباطات والثورة المعلوماتية بأركانها المتغيرة، وآلياتها المتتجددة بسرعة هائلة في إعلامها المتنوع من المركبات والمسموعات والمقرؤوات التي تكاد أن تسبق الزمان في صناعتها الثالثة، التي لا زالت تحفظ بالقديم كذلك في مساحته وفعاليته، فإنه في عصرنا هذا لا زال في ساحة التبليغ الديني وفي مجال الوعظ والارشاد للمنبر والخطيب دورهما

الأخلاقية، وكذلك باقي الثوابت سواء في المعتقدات أو الفقه أو الثقافة العامة فإنها تتكرر وإن اختلفت العبارات والصيغ من حيث الاسلوب والتعبير والزيادة والنقيضة، فلا تنفل فان التكرار يفيد زيادة التقرير كما يدل على أهمية الموضوع ولزومه.

١. فضلت : ٣٣

وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾^(٢).

وقال عزوجل: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْعِذَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاهِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣).

إن الله سبحانه وتعالى يخاطب المجتمع الإيماني، وكل من كان مؤمناً من الرجال والنساء، فإن الخطاب الإلهي يتوجه إليهم، وأمّا المجتمع المشرك والكافر، فإنه يعد من الغافلين، فلهم قلوب لا يفقهون بها، ولم أعين لا يبصرون بها: ولهم آذان لا يسمعون بها ﴿أَوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٤).

اما المجتمع المؤمن فإنه يخاطبه ربّه ليوقظه من الغفلة والسبات، فدعاهم أولاً: إلى تقوى الله سبحانه، بان لا يفقدهم فيما أمرهم ولا يراهم فيما نهاهم، وذلك بإتيان الواجبات وترك المحرمات، وهو تقوى العام، بل بإتيان المستحبات وترك المكرهات فضلاً عن الاول، وهو تقوى الخاص، بل ترك الحلال فضلاً عن الشبهات والمكرهات والمحرمات وهو تقوى الخاص الخاص^(٤).

١) الأحزاب - ٧٠ - ٧١.

٢. النحل :

١٢٥ .

٣. الأعراف :

١٧٩ .

٤. هذه المقوله عندي من الثوابت، ولهذا تكرر في كثير من مؤلفاتي ولا سيما

في الإيمان والأخلاق ليسقط في هاوية الاضمحلال والعدم، وإلى وادى برهوت، ولا بدّ حينئذ لمن كان في مقام الإصلاح، ومن رجال العلم والدين أن يقوم بما يجب عليه من إصلاح الأمة وتصحيح مسارها، وإرجاعها إلى صوابها ورشدها، وفكّها من سلاسل الماديات وقيود الأوهام وأغلال الخرافات، والإفتتان بمظاهر الدنيا والخلابة، وزينتها الكاذبة.

لابد من إحياء العقول وإثارة دفائنهما، وتهذيب النفوس وتربيّة الأرواح، وحكومة العقل وتحكيم العقلانية في مجتمعاتنا، ولا سيما المجتمعات الإسلامية، فانّ دين الإسلام دين العقل السليم والفهم الموحدة والشريعة السمحاء ختمت الشريائع السابقة، وأنزله الله لسعادة الناس في الدنيا والآخرة.

إنّ جوهر الإسلام وحقيقةه هو دين الجلال والجمال والكمال، إلاّ ان من المنتسبين إليه من شوّه صورته الجميلة، والقى الرعب في القلوب، فجعل يفرون منه ويخافون سطوه.

فيجب على العلماء ومنهم الخطباء والمبلغين أن يশمروا عن سواعد الجد والاجتهاد، ويقوموا بالعبأ الثقيل كما هو المطلوب وعلى أرض الواقع بما يرضى الله سبحانه وصاحب الشريعة وأولئك المعصومين عليهم السلام، لابدّ من إنارة الطريق وإشعال الشموع والأضوية في دروب السالكين إلى الله سبحانه، وبكلّ وعي ودقة وصلابة وقوّة،

الفعال الذي لا يمكن أن يستغنى عنه، فإنه كاد المنبر والمنبرى أن يكون العمود الفقري لتنقيف الجماهير والشعوب على اختلاف طباقاتهم وأصنافهم، فانه من خلال المنبر نشاهد التطور في الجانب العلمي والأخلاقي في الأمة، فانّ الناس طوال الأعوام المتتابعة، ولا زالت تتلقى معارفهم ومفاهيم الحياة الطيبة من خلال المنبر، ومجالس الوعظ والارشاد والخطابة الهدافة والرسالية.

إن لسان المنبر ولغته يتذوقه الجميع، فانه يحمل بين طياته وفي سجلاته المفاهيم الرفقاء، والمطالب السننية، والعلوم النافعة، ودفع الشبهات وإزالة الخرافات، وتحطيم أبنية الجهل والضلالات.

إن من المشاكل التي يعني منها مجتمعاتنا المعاصرة مع هذا التقدّم الواسع هو كيفية إيصال الفكر الإسلامي الوعي إلى الناس، فانه رسالة كبيرة في عهدة كل مسلم وMuslima، اذ علّمنا الإسلام انه (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ولكن الحمل الأكبر يقع على عاتق رجال الدين والعلم بكل أطيافهم ومستوياتهم، ومنهم الخطباء والمبلغين وأصحاب المحاضرات الإسلامية، فانّ لهم دور كبير في توعية الأمة وإرشادها إلى ما فيه الخير والسعادة، ووعظها أن تقوم الله مثنى وفرادى، وحفظ المجتمع وسلامته من الانهيار والانحطاط والتلوّث بالأسقام الفكرية والجرائم السلوكية والأخلاقية.

إنّ عصرنا وإن يتقدم في الصناعة، إلاّ أنه يهوى إلى الإنحدار السريع

والازدهار إلى مجتمعاتنا الإسلامية، نعتر بهويتنا الإسلامية، وبعزة الإسلام وقرآنـه الكريم وسنة النبي ﷺ الشريفة، ومنهاج الأئمة الأطهار عليهم السلام، فـانـ الإسلام دين الله الكامل فيه، سعادة الناس جميعـا في الدنيا والآخرة **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾**^(١)، **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾**^(٢).

فمن يتبعـ غيرـ الإسلام ديناً وحياةـ ودولةـ وأمـةـ، فـلنـ يـقبلـ منهـ، للجمـالـهـ وكمـالـهـ، وإـصالـتهـ واحـقـيـتـهـ وشـمـولـهـ وخلـودـهـ. منـ الواضحـ ولاـ سـيـماـ بيـنـ المـسـلـمـيـنـ وـفـيـ مـدـرـسـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـىـ الـلـهـ إـنـ منـ أـهـمـ آـلـيـاتـ وـأـدـوـاتـ التـوـعـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ (ـالـمـنـبـرـ) وـ(ـالـخـطـبـ) (ـالـظـرـفـ وـالـمـظـرـوفـ) اللـذـانـ يـأـخـذـانـ مـشـرـوـعـيـهـماـ وـقـدـاسـتـهـماـ وـإـصالـتـهـماـ منـ رـوـحـ الدـيـنـ الـإـسـلـامـيـ الـحـنـيفـ. وـالـمـقصـودـ منـ هـذـهـ العـجـالـةـ أـنـ كـيـفـ نـوـظـفـ الـمـنـبـرـ وـالـخـطـبـ فـيـ خـدـمـةـ الـإـسـلـامـ وـتـروـيجـ مـبـادـئـ وـقـيـمـهـ وـدـسـاتـيرـهـ الـقـوـيـةـ، وـنـعـرـفـهـ كـمـاـ هـوـ وـبـنـفـسـهـ، لـاـ بـأـفـعـالـ مـعـنـقـيـهـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ، أـوـلـئـكـ الـذـيـنـ لـمـ يـبـقـ مـنـ إـسـلـامـهـ إـلـاـ إـسـمـهـ، وـفـيـ هـوـيـتـهـ الـشـخـصـيـةـ...

١. آل عمران: ١٨٥.

٢. المائدة: ٣.

وـعـلـمـ وـمـعـرـفـةـ.

لـابـدـ مـنـ إـرـوـاءـ الـعـطـاشـاـ مـنـ مـنـاهـلـ الـإـسـلـامـ الـعـذـبةـ، الـذـيـ يـحـيـيـ الـقـلـوبـ وـالـعـظـامـ، وـيـشـفـيـ مـنـ الـأـمـرـاضـ وـالـأـسـقـامـ، الـفـرـدـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ، الـفـكـرـيـةـ وـالـسـلـوكـيـةـ.

وـهـذـاـ أـمـرـ خـطـيرـ يـتـطـلـبـ النـفـيرـ، فـاـنـهـ لـاـ يـتـحـمـلـهـ إـلـاـ الـمـبـلـغـ الـقـدـيرـ، وـالـخـطـبـ الـنـحرـيـ، وـالـعـالـمـ الـحـكـيمـ، وـالـمـصـلـحـ الـفـهـيـمـ، يـعـرـفـ الدـاءـ وـيـعـرـفـ الدـوـاءـ، وـيـعـرـفـ كـيـفـ يـعـالـجـ الـمـجـتـمـعـ بـكـلـ أـصـنـافـهـ وـأـحـادـهـ. فـيـكـونـ مـبـشـراـ وـنـذـيرـاـ وـهـادـيـاـ وـسـرـاجـاـ مـنـيـرـاـ، وـقـمـراـ مـضـيـئـاـ فـيـ الـلـلـيـلـ الـدـيـجـورـ وـالـظـلـامـ الـدـامـسـ، لـمـ أـرـادـ اـنـ يـصـلـ إـلـىـ شـرـوقـ الـشـمـسـ وـطـلـوـعـهـ، لـيـعـيـشـ فـيـ نـورـ آـفـاقـهـ وـضـيـائـهـ.

وـمـثـلـ هـذـاـ الـأـمـرـ التـقـيلـ يـتـطـلـبـ جـهـودـ جـبـارـةـ، وـعـقـولـ مـفـتـحـةـ، وـضـمـائـرـ وـاعـيـةـ، وـهـمـمـ عـالـيـةـ، وـبـرـامـجـ مـدـرـوـسـةـ، وـمـخـطـطـاتـ مـتـعـالـيـةـ، وـآـلـيـاتـ تـواـكـبـ الـعـصـرـ فـيـ تـقـدـمـهـ وـتـطـوـرـهـ، وـنظـرـيـاتـ قـابـلـةـ لـلـتـطـيـقـ، وـلـاـ نـكـتـفـيـ بـالـتـنـظـرـ وـالـكـلـامـ الـمـعـسـولـ، وـنـحـيـلـ الـعـمـلـ وـبـذـلـ الـجـهـودـ وـتـحـمـيلـ الطـاقـاتـ وـكـشـفـ الـمـوـاـهـبـ إـلـىـ الـآـخـرـينـ.

لـابـدـ مـنـ الـأـمـلـ الـمـعـقـولـ، وـتـشـغـيلـ الطـاقـاتـ الـمـكـمـونـةـ، وـتـفـصـيلـهـاـ فـيـ الـنـفـوسـ وـفـيـ الـمـجـتـمـعـ، وـإـنـارـةـ الـشـمـوـعـ فـيـ مـسـالـكـ الـمـسـلـمـيـنـ وـطـرـقـ الـمـؤـمـنـيـنـ بـخـطـابـاتـ رـصـيـنـةـ، وـبـلـاغـاتـ وـاضـحةـ وـحـصـيـنـةـ، وـنـعـيـدـ الـحـيـاةـ السـعـيـدةـ وـالـعـيـشـ الرـغـيدـ وـالـنـشـاطـ وـالـحـيـوـيـةـ الـتـيـ يـسـتـبـعـهـاـ التـقـدمـ

ومالهما وما عليهم من حقوق وواجبات، وسلمنا الامر إلى غير ذي الخبرة وأصحاب القرار، فضل وأضل، وأفسد أكثر مما أصلح، وأضر أكثر مما نفع، وزاد في الطين بلة، فضعف الطالب والمطلوب، وإختلط الحابل بالنابل، والغث بالسمين، وتشابهت الأمور على الناس كتشابه البقر على اليهود، فتحيرت وتبللت وقلقت، حتى هاجت وفربت كما تفرّ من قسورة... وهذا الحال يسرى ويجرى في كل مورد لم يوضع الفرد المناسب في الموضع المناسب.

ومن ثم تصاب الأمة بالجهل والجاهلية، وتميل إلى الخرافات والموهومات، وترضى بالانحطاط العلمي والخلقي، وتقبل بسيادة الاستعمار والاستكبار وحكوماتهم في بلادها، وترضح للظلم لعملائهم وأذنابهم، وتموت الحمية والغيرة على الدين وأهله في نفوسهم، وتقبل بالماديات على حساب المعنيات، كما ترضي بالاستثمار والاستبعاد بدلاً من الاستقلال والحرية، غرّتهم الدنيا ومظاهرها المزيفة، فانحرفوا عن الصراط المستقيم، ودخلوا في الطرق والاحزاب اليمينية واليسارية، فيخرجون بيوتهم بأيديهم، ليسكنوا البيوت العنكبوتية، فساء ما يعملون، فانّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

ولكن - والله الحمد - بدأت الصحوة الإسلامية تشق طريقها، ولا سيما بين الشباب، وبالاخص في الطبقة المثقفة، فرجعوا إلى صوابهم،

فما هي رسالة المنبر والخطيب؟ وكيف نوّظفهما ونفعّلهما بما يتواكب مع العصر، أي الحداثة، مع حفظ إصالتهما؟

كيف نحافظ عليهما من الضياع والانحراف والهشاشة والعدم؟ ماذا؟ وكيف؟ وهل؟ ومن؟ وما؟ وعشرات من الاسئلة التي تدور حول ماهية المنبر والخطيب ومعرفة الداء والدواء؟ ثم بيان الاجوبة الشافية بأدلة كافية، وقول سديد وفك رشيد. لابد من إنهاض المجتمع ومعالجة مشاكله ووقايتها من الامراض الاجتماعية ومن تلوث البيئة بالمفاسد والفجور وجرائم البطالة والكسيل والقلق والاضطراب والانحطاط... ووضع كل شيء في موضعه، بعقل واع، ونية خالصة، وهمّه عالية، وصبر جميل، ونشاط دؤوب، وعمل متواصل، وفك صائب، وأطروحتات ناجحة، ومستقبل زاهر، وكلام بلغي، وخطب ناجعة...

إنّ خير من يقوم بنهضة الأمة وتعاليها وإزدهار وتطورها في كل الميادين والساخنات هو الخطيب المنبرى العالم، والعالم الخطيب المنبرى، والمبلغ الرسالى والمحاضر الإسلامي، والعالم الربانى، والفقىء الصمدانى، فان العلماء قادة، والفقهاء سادة، والخطباء والمبلغين رواد المجتمع.

لقد غفلنا أو تغافلنا عن دور المنبر والخطيب، وأهملنا مسؤولياتهما

مِقَامُ الْخَطَّابِ وَالْمَبْلَغُ فِي الْاسْلَامِ

إِنَّ مِنْ فَلْسَفَةِ الْبَعْثَةِ النَّبُوَيَّةِ وَإِرْسَالِ الرَّسُولِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ هُدَايَةَ النَّاسِ وَإِرْشادَهُمْ لِأَفْضَلِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَبِلُوغِهِمْ قُمَّةَ الْكَمَالِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدَّارِينِ.

وَإِنَّ حَيَاةَ شَخْصٍ وَأَحَادِيثِ النَّاسِ يَعْنِي حَيَاةَ الْأَمَّةِ وَالنَّاسِ جَمِيعاً، إِنْطَلَاقاً مِنْ مَفْهُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَاهَا النَّاسُ جَمِيعاً﴾^(١) وَقَدْ وَرَدَ فِي ذِيلِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَاهَا النَّاسُ جَمِيعاً﴾^(٢). أَيْ مِنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدَى.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا أَرْسَهُ مِبْلَغاً إِلَى الْيَمِنِ: (إِنَّ يَهْدِي اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرًا لَكَ مَمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ)^(٣). قَالَ الْإِمَامُ الْكَاظِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَقِيهٌ وَاحِدٌ يَنْقُذُ يَتِيمًا مِنْ أَيْتَانِنَا الْمُنْقَطِعِينَ

١. المائدة: ٣٢.

٢. المائدة: ٣٢.

٣. الكافي: ١ / ٣٨.

وَإِسْتِيقْضَوا مِنْ سُبَابِهِمْ، وَعَرَفُوا أَعْدَانِهِمْ وَذَئَابِهِمُ الْمُتَلَبِّسَةِ بِجَلْدِ الشَّيَاةِ، فَطَالُبُوا بِهُوَيَّتِهِمُ الْاسْلَامِيَّةِ وَإِصَالَتِهِمُ الدِّينِيَّةِ، وَكَرَامَتِهِمُ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَمَجْدُهُمُ التَّلِيدُ وَمَا ضَيَّهُمُ الْمُشْرِقُ، وَثَارُوا مِنْ أَجْلِ حُرْيَتِهِمْ وَإِسْتِقْلَالِ بِلَادِهِمْ وَالْخَلَاصِ مِنْ بِرَاثَنِ الْاسْتِعْمَارِ وَهِيَمَنَةِ الْإِسْتِكْبَارِ، وَطَالُبُوا رِجَالَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالثَّقَافَةِ، مِنْ مَرَاجِعِهَا وَعِلْمَائِهَا وَخُطْبَائِهَا وَمِبلغَيْهَا وَمِثْقَفَيْهَا، وَكُلُّ مَنْ لَهُ دُورٌ فِي نَشْرِ الْاسْلَامِ وَتَطْبِيقِهِ عِلْمًا وَعَمَلاً، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ الإِصْلَاحِ وَالصَّالِحِ قَلْبًا وَقَالَبًا، فَرْدًا وَمَجَمِعًا، أَنْ يَدْخُلُوا سَاحِاتِ الْمُرْصَادِ وَبِكُلِّ قُوَّةٍ، فَانْشَأُوا الشَّعُوبَ وَالْجَمَاهِيرَ بِكُلِّ طَبَقَاتِهَا وَقَوْمِيَّاتِهَا وَتَيَارَاتِهَا مَعَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ، وَبِذَلِيلِ النَّفْسِ وَالنَّفِيسِ.

وَهُنَا تَكْبِرُ الْمَسْؤُلِيَّةُ عَلَى عَاتِقِ الْمُصْلِحِينَ وَرِجَالِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، بِكُلِّ شَكْلِيَّاتِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمُ الْعَلْمِيَّةِ وَالْجَمَعَيَّةِ، فَانْ لَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دُورٌ وَظِيفَتُهُ وَمَسْؤُلِيَّتُهُ، فَيُعَطَى بِقَدْرِ مَا عَنْهُ، مِنَ الطَّالِبِ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنْ دِرَاسَتِهِ فِي الْحَوَزَاتِ الْعَلْمِيَّةِ، وَإِلَى ذَلِكَ الْمَرْجَعُ لِلتَّقْلِيدِ وَالْفَقِيهِ الْجَامِعِ لِلشَّرَائِطِ، فَانَّ الْكُلُّ أَمَامٌ مَسْؤُلِيَّةٌ عَظِيمَةٌ وَخَطِيرَةٌ، وَإِنَّ الْحَمْلَ لِتَقْلِيلِهِ، وَمَنْ تَخَلَّ بِقِيَدِ أَنْمَلَةٍ، فَانَّهُ سَيَحَاسِبُ حَسَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا مِنْ تَقْيِيمِ مَعَاصرِهِ وَمِنْ قَضَاوَةِ التَّارِيخِ، وَفِي الْآخِرَةِ مِنْ حَسَابِ اللَّهِ جَلَّ جَلَّهُ، فَمَا هُوَ دُورُكُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ التَّكْوينِيَّةِ وَالْتَّشْرِيعِيَّةِ؟!

إنّ الانبياء بالكلمة النافذة، والحكمة الصادقة، أخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، من الجهل إلى العلم، وأشاروا دفائين العقول، وغاصوا في أعماق وجود الإنسان، ليستخرجوا من فطرته الموحدة الثنائي والمرجوهات المكتنونة في صحيح وجودهم.

إنّ خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله عليهما السلام بالسبعين خطبه الفصيحة والتي قال مخبراً عن بلاغته وفصاحته (أنا أفصح من نطق بالضاد) أعاد للناس حياتهم السعيدة وكرامتهم الإنسانية، بعد أن عاشوا رديعاً من الزمن في ظلام الجاهلية الأولى، وما تلت قلوبهم وقست، وتزلزلت عقولهم وعمت، فلم تر الحق حقاً فتتبعه، ولا الباطل باطلًا فتجتبه.

إنّ خطابات النبي الراكم عليهما السلام البليغة والهادفة، والتي خلت من اللهو واللغو، ومن إثارة النعرات القومية والقبيلية والطائفية والتخربيّة، ومن الخرافات والتخيّلات والموهومات، ومن الفخر الكاذب كما كان عند المشركين من قريش آنذاك، ومن التعصب القبلي، ومن الحروب والغارات الهمجية والإرهاب والعنف، ومن قساوة القلوب التي كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة، ومن الشقاء والقتل الجماعي وودأت البنات، ومن كل مظاهر الشرك والجهل.

إنّ خطبه عليهما السلام ومن بعده خطب أمير المؤمنين على عليهما السلام ثم خطب أئمة أهل البيت عليهما السلام اللذين أعطاهم الله الفصاحة والبلاغة

عنّا وعن مشاهدتنا، بتعليم ما هو محتاج إليه، أشدّ على إبليس من ألف عابد^(١).

قال رسول الله عليهما السلام: يجئ الرجل يوم القيمة وله من الحسنات كالسحاب الرّكام أو كالجبل الرّواسي، فيقول يا رب إتمالي هذا ولم أعملها؟ فيقول هذا علمك الذي علمته الناس به من بعدك^(٢). دور الانبياء والمرسلين أولاً هو دور التعليم والتربيّة، وهداية الناس بالكلمة والكلام، ثم يقوم بمسؤوليتهم من يرثهم من العلماء الصالحين والخطباء المؤمنين.

إن أول الخطباء في المجتمعات الإنسانية هم أنبياء الله ورسله من آدم أبي البشر إلى الخاتم محمد سيد البشر عليهم السلام، فإنهم قاموا بالكلمة والكلام، وشيدت دعوتهم التوحيدية على الخطابات الشفوّية، ونزلت الكتب السماوية.

إن القرآن الكريم الكتاب المهمين والمبيّن، كتاب العلم والعمل، وإنه يشير إلى أصول العلوم المعنوية والمادية، الآخرية والمعاشية، ومن آياته الكريمة ما يشير إلى فن الخطابة ودور الخطباء والأسلوب البليغ المؤثر في قلوب الناس على اختلاف أصنافهم وطبقاتهم.

١. البحار: ٢ / ١٨.

٢. البحار: ٢ / ١٨.

البلية في النفوس، وإنّه يوجب سكون النفس وإطمئنان القلب وراحة البال، يداعب العواطف والاحسیس المرهفة، ويُدغدغها بنسیم الاسحار والأبكار، فتطرّب الروح على سحر الكلام والبيان، وتُحلق في آفاق العلیٰ، لعلّها أن تبلغ قاب قوسین أو أدنى من العلیٰ الأعلى. فما أعظم تلك الخطبة الأولى التي وقف فيها منادياً بكل صلاة وإيمان وبكل إخلاص وبصيرة: (يا عشرين قريش، يا عشرين العرب، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإنّي رسول الله، وأمركم بخلع الأنداد والأصنام...).

«أيها الناس إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جمیعاً ما كذبتم، ولو غرت الناس جمیعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو وإنّي رسول الله اليکم حقاً خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتون كما تتمون، وتبثون كما تستيقظون، ولتحاسبون بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنّما الجنة أبداً والنار أبداً...»^(١).

وهناك العشرات من الخطب النبوية الناجعة والمؤثرة في أعماق القلوب المستعدة لقبول الحق، والباحثة عن الحقيقة بانقلاب روحى وفكري، فردي وإجتماعي، وسوقهم إلى رياض السعادة، وأن

١. كامل ابن الأثير ٢ / ٢٧.

والصباحة، وجعل حبهم وموّدهم في قلوب المؤمنين، كانت إنطلاقة نور وإنفجار كرامة جديدة للبشرية، داعية إلى العلم النافع والعمل الصالح، وإلى العقلانية والسلوك القييم، رافضاً الجهل والظلم والظلم. فما أروع تلك البلاغات النبوية والخطب العلوية التي سقطت مزارع القلوب بماء التوحيد الذي جعل منه كلّ شيء حيّاً، وأزالّت عنها الشرك والظلم والجور والمكر والخدعة والإنحرافات وكل ما يشين الإنسانية، وبدل حريتها وكرامتها إلى عبودية الأصنام والآحجار، ومتابعة الاهواء والرجال والملوك والرؤساء والأحزاب.

إنّ خطبهم المباركة تذكر الناس بالمبدأ والمعاد، وما يجب من واجبات على كل واحد تجاه ربّه ونفسه وأسرته ومجتمعه، والطبيعة التي يعيش فيها.

كان العرب آنذاك في قمة الفصاحة والبلاغة، كما تشهد عليهم معلقاتهم في الكعبة المشرفة، إلا أنّ لخطابات النبي الأكرم ﷺ الواقع الخاص والنعمات الملكوتية، وموقع موسيقى يختلف كلّ الاختلاف عن كلام معاصريه، فانّ قرآن ليس من كلام المخلوقين، بل وأقوال النبي ﷺ بصورة عامة لها جذور ترتبط بالسماء مباشرة، ومن معدن العظمة والحكمة، وخزانة العلم والمعرفة.

إنّ الخطابات النبوية البلاغية، والتي يموج منها العلم موجاً متلاطماً لم يعهد له العرب البلوغ والفصحاء آنذاك، فإنّها كانت ولا تزال لها الأثر

يكونوا تحت لواء رب العالمين.

فسوقةم وقيادتهم من حضيض الجحالة وسفاسف الشرك إلى أوج العظمة وقمة العزة في معرفة توحيد الله عزوجل، ثم إرشادهم وخلاصهم من الدنيا الدنية، ليترقوا إلى أعلى عليين في يوم القيمة. إنّ رسول الله محمد ﷺ وكتابه المقدس وعترته الهادية بنوا صرحاً شامخاً في المجتمع الإنساني آنذاك، ولا يزال الإسلام المحمدي الأصيل يعلوا ولا يعلى عليه، وإن الله سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون، هذا ما وعد الله ورسوله، وإن الله لن يخلف وعده، فصدق الله وصدق المرسلون، وانا على ذلك من الشاهدين الشاكرين.

تاريخ الخطابة

إنّ تاريخ الخطابة في الواقع كتبليغ ورسالة يرجع إلى الانبياء الكرام عليهم السلام من آدم وإلى الخاتم، فإن الله بعثهم لهداية الأمم بالكلمة والكلام، وأنزل معهم الحديد ليقوم الناس بالقسط والعدل، والعدالة الإجتماعية.

فكانوا من أهل الخطابة، ومن المبلغين لرسالات الله، يخشونه ولا يخشون أحداً.

إن أولئك المرسلون والأنبياء المطهرون، ومن يحذو حذوهم من الاوصياء والمؤمنين بالكلمة والبيان، ومن ورائهمما العلم والایمان، والنفس القدسية، والفطرة الموحدة، أوصلوا كلمة الله العليا للناس كافية، فمنهم من إهتدى ومنهم من ضل وأضل.

ثم لا تتحصر الخطابة فيهم، بل يعده من الفنون البشرية، فإن الله

ثم الخطابة كما كانت تبني الأجيال وتعمر الديار، فإنّ منها ما كانت تخرّب البلاد وتفسد العباد، إلّا إنّ الجانب الإصلاحي والعمري في الخطابة كان يختص بالأنبياء ومن يحذو حذوهم من المصلحين في المجتمعات البشرية، وأمّا الجانب الإفسادي فكان من أسباب وأدوات المفسدين والمنحرفين والاغنياء المترفين وحكام الجور والسلاطين لتحريف الامة عن مسارها الصحيح، وإفساد المجتمع بإرتکاب الموبقات والفواحش، فكان الخطباء في هذه المدرسة من أوّان وجنود الشياطين.

فمن الخطباء من يتكلّم الله على لسانه (نطق روح القدس على لسانك) و منهم من كان مذيعاً وبوقاً للشيطان، فالأنبياء عليهم السلام بخطبهم وتبلیغ رسالات ربهم أزاحوا الشكوك والشبهات بمنطق رصين وبالعلم والمعرفة، بينما جنود إبليس وحزبه من الخطباء المفسدين من يثير الشبهات والشكوك في النفوس، ويطفئوا ضوء العقل ليضلّوهم عن الصراط المستقيم، وليومنوا بالخرافات والبدع والضلالات من دون رؤية الحق ومعرفة الحقيقة.

إنّ الله سبحانه بعث الأنبياء والمرسلين بالحكمة والخطابة والموعظة الحسنة، ليتخلق المجتمع الانساني بأخلاق الله ويتأدّب بأدابه.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (من تأدّب بأداب الله عزوجل أداه إلى الفلاح الدائم).

سبحانه ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَمَهُ الْبَيَانَ﴾^(١) والبيان ما يدل على المراد والمقصود مطلقاً، سواء أكان بالألفاظ أو الكتابة أو الاشارات أو غيرها، إلّا أنّ الكلام من أكثر آيات البيان، وإنّ اللسان وإن كان جرم صغير، إلّا أنّ معطياته كبيرة، وأنه من أفضل نعم الله وآلاته على الإنسان، وإنّما عرّفت الشرائع السماوية باللسان والبيان، يكفيك شاهدأً في عظمة اللسان وآثاره ما ورد في الحديث الصادقي الشريف.

قال الإمام الصادق عليه السلام في توحيد المفضل: يا مفضل ما أنعم الله، تقدّست أسماؤه، به على الإنسان من هذا النطق الذي يعبر به عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه، ولو لا ذلك كان منزلة البهائم المهمّلة التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً، وكذلك الكتابة التي بها تفيد أخبار الماضين للباقيين، وأخبار الباقيين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها...^(٢).

فكان الخطابة من أدوات البيان، وكان هذا الفن كفن مدون في فلسفة اليونان رائجاً بين الأمم والشعوب منذ قديم الزمان.

١. الرحمن: ٣ - ٤.

٢. البحار: ٣ - ٨٢.

وما أروع وأجمل التعبير القرآني وصف أولئك الناصحين وحرصهم على هداية الناس، فإنه وصفهم بالاخوة مع المشركين والفاشدين والمنحطين في المجتمع، وهذا أمر عجيب له مداريله الخاصة.

فقال سبحانه وتعالى عن نبيه شعيب: ﴿وَإِلَيْ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١).

﴿وَإِلَيْ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٢).

سبحان الله فإن مثل شعيب النبي وهود النبي يكون أخاً لقومه المشركين والكافرين، والذين سيعذبهم الله شرّ عذاب بعد حين؟! ان في هذا الوصف دلالات ومفاهيم بحاجة إلى دراسة معمقة لمن كان خطيباً، وفي خطّ الانبياء العظام عليهما السلام، فلا يعزل ولا ينفصل عن الناس مهما بلغوا في الضلال، بل يقترب منهم كاخ ناصح ومخلص أمين. وهذه من أولى مسؤوليات الخطيب الإسلامي والتوجيهي المخلص والناصح.

أجل ان الخطباء الذين ورثوا الانبياء في هداية الناس بالكلمة والكلام يقومون مقامهم في دعوة أممهم إلى التوحيد والمعاد،

١. الأعراف: ٨٥.
٢. الأعراف: ٦٥.

وفي فقه الإمام الرضا عليه السلام لما نزلت: ﴿وَلَا تَمْدَنْ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَقْعُونَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ أمر النبي عليهما السلام منادياً ينادي من لم يتأنب بأدب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات)^(١).

فكان الانبياء كما وصفهم الله في كتابه الكريم بكلمة جامعة لكل أوصاف الخطيب الإلهي بقوله تعالى من (الناصحين).

قال نوح عليه السلام: ﴿أَبْلَغْكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصِحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

﴿أَبْلَغْكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(٣).

﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحْبَّبُونَ النَّاصِحِينَ﴾^(٤).

والناصح: من يحب الخير لغيره، ويحرص على هدايته وسعادته، وبلغه إلى أعلى درجات الكمال المكنون في الموعظ في سريرته، فيخلاص في دعوته، فان ما يقابل الصح والنصيحة هو الغش، وهو ما ليس بخالص، فالداعي إلى الله من كان مخلصاً في نواياه وفي كلامه ودعوته.

١. ميزان الحكم: ١ / ١٠٦ عنه مجلة الحوزة الغدد: ١٥٢ ص ٧٣.

٢. الأعراف: ٦٢.

٣. الأعراف: ٩٨.

٤. الأعراف: ٧٩.

عليه قوله تعالى: ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾^(١).

فمتى ما كان الخطيب يتصف بالحسن العقلي والحسن الفاعلي، أي ذاته حسن، ووصفه حسن، و فعله حسن، فإنه لا محالة تشر خطاباته في مزارع نفوس الناس وبساتين قلوبهم ثمرةً حسناً ويحصد الحسنات والخيرات، في مجتمع المحسنين.

وإذا العقول تفتحت، وغفلات النفوس قد تبدّلت، وشمس الحقيقة واليقظة قد أشرقت، وإذا كان لقاء الاعداء في ساحات الصراع ببسالة وشجاعة، وتقدمت البلاد بازدهار وسعادة، وكان الناس في عيشة راضية مرضية، إنما كان ذلك في كثير من الموارد بالخطب البليغة والمخلصة، من خطيب فصيح بلين، وناصح أمين ومحاضر فاهم عليم.

إنّ رسول الله ﷺ لما أراد توديع أمير المؤمنين علي عليه السلام عند إرساله إلى اليمن مبلغاً للإسلام أشار إلى بعض العوائد والآثار المعنوية المترتبة على الخطابات والتبلیغ الاسلامي قال ﷺ: (يا على لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه، وأيم الله لأن يهدي الله على يدك رجالاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولوك لا وء يا على). فهدایة شخص واحد خير من الدنيا وأربابها، وان يكونوا موالين

١. الحج : ٧٣

وسعادة الإنسان.

قال رسول الله ﷺ: (العالم في قومه كالنبي في أمتة).

فالخطيب العالم، والعالم الخطيب، من كان في طريق الانبياء وعلى نهجهم القوي وصراطهم المستقيم، يحافظون على دين الله من الضياع والانحراف والخرافات، وينشرونه وينقلونه ولا يخشون أحداً من الناس، وعلى ربهم يتوكلون.

وكم من تائب هداه الله بخطبة خطيب ناصح، وكم من منحرف عن جادة الصواب رجع إلى رشده وصوابه وعرف الحقيقة بكلمة بلية وناصحة من خطيب نصوح وحريص على هداية الناس كما كان رسول الله ﷺ.

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوِوفٌ رَّحِيمٌ ﴾^(١).

إنّ الخطيب الرسالي ينبغي أن يكون بمستوى المسؤولية، وأن يكون بمقدار ظرفيته يحمل خلق الانبياء ومسؤولياتهم، فيرثهم في وظائفهم وعلومهم ومعارفهم، وأن تخرج الكلمة من قلبه وصميم وجوده لتدخل في القلوب، وتنفذ في الأعمق، وإلاً فما يخرج من اللسان وحسب فإنه لم يتجاوز الآذان، كما ورد في الآخر، ويصدق

١. التوبة: ١٢٨

قداسة المنبر

إنّ المنبر عند المسلمين قاطبة، ولا سيما عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولا سيما المنبر الحسيني يعدّ من المقدّسات الدينيّة، حتّى إن سيدنا الاستاذ آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي أوّصاني أن يربط طرف من عمامته بالمنبر الذي في حسینية والطرف الآخر بجنازته في اليوم الاول من وفاته وقبل دفنه، ليكون دخيلاً على صاحب المنبر مولانا سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام. فلابدّ من الحفاظ على إصالته الدينيّة ومحتواه التوجيهي، وإتسابه إلى الله وإلى رسوله وإلى القرآن الكريم وعدله العترة الهاشمية من أهل بيته رسول الله عليه السلام، فإنّ المنبر الإلهي في تكريمه وقداسته كبيت الله الحرام، فكما ان الكعبة جعلها الله قياماً للناس وهدى ومباركاً للعالمين، فكذلك المنبر المقدس الذي عليه إسم الله، ويشع منه نور الله سبحانه، ويبلغ من عليه دينه وعلمه، فلا بد من الحفاظ على قداسته الخاصة كما هو واضح، فان كل مؤمن ومؤمنة ينظر اليه بعين

ومحبين لك.

فما أعظم أجر التبليغ وأداء الرسالة بالخطب والمواعظ الحسنة وبالبيان بمالكلمة من مفهوم ومصاديق.

وفي قبال هولاء الخطباء الرساليين هناك الخطباء المفسدين والمنحرفين الذين سرقوا عقول الناس وأبابهم أولاً، ثم يسرقون دينهم ومعتقداتهم، بلغتهم الخطابية، ويقيدونها بأغلال الجهل وسلسل البدع والخرافات، وينفرّون الناس عن الدين ورجاله، مقبلين على الثقات الشيطانية والخطط الإبليسية، وهم لا يشعرون، ومثل هذه يعبر عنها القرآن الكريم بالوساوس والتسويات والتدعيس والتلبيس، للصدّ عن سبيل الله جل جلاله، فمن الخطباء من يملك فن الخطابة من دون المحتوى الأصيل، فهو لاء يضرّون صرح الإسلام الشامخ بمعاولهم المصنوعة من الجهل وحب الدنيا والجاه وجمع الثروات، وتارة يضرّون الدين باسم الدين، والمذهب باسم المذهب، فاحذروهم يا اخوة الإسلام.

ورجع إلى ربّه في شهر رمضان المبارك، أو رجع إلى أهل البيت ومدرستهم وإسلامهم الأصيل في شهر محرم الحرام وصفر المظفر. إنّ شهر رمضان عند كثير من الناس شهر التوبة والإنابة، وإنّه شهر الامة المرحومة، وشهر الروحانيات والمعنويات والتزود بخير الزاد وهو التقوى، والسلوك إلى الله وعرفان الحلال والحرام ومقاصد الدين في الحياة الفردية والاجتماعية، ومعرفة سر الخلقة وفلسفة الحياة.

فتتوجّه زرافات زرافات ووحداناً وجماعات إلى المساجد والحسينيات، لتنقلّى الموعظ والارشادات من المنابر والخطباء والخطابات.

كما تختص الشيعة بالمنبر الحسيني لإحياء عاشوراء وقصة كربلاء الفجيعة، ليستلهم منها الدروس وال عبر، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام عبرة وعبرة، دمعة وشمعة، وإنّ في واقعة الطف الأئمة وإحيائها في كل عام إحياءً للدين وإحياءً للفضائل والمكارم في المجتمع، وذلك من وراء وخلال الخطابات الحماسية والتوجيهات الدينية والوعي الإسلامي، بفكر نوراني يستمد قوّته ونوره من الإمام الحسين عليه السلام ونهضته الخالدة بخلود الزمن.

إن جاذبية الإمام الحسين عليه السلام لا تقلّ عن جاذبية شهر رمضان في جذب الناس إلى المنابر والخطباء على اختلاف المجالس وتعدد

التكرير والتقديس والإجلال، وإنّه لينصاع لكل أمر ونهي يصدر ممّن يعلوه من الناصحين، ومن ورشة الانبياء عليهم السلام من العلماء الأعلام والخطباء الكرام...

إنّ المنبر الإلهي المقدس الذي يسوق الناس ويقودهم إلى الجنان والسعادة الأبديّة.

إنّ الشيعة الإمامية الاثني عشرية لتعزّ المنبر وأهله المخلصين والرساليين، وإنّهم ينجذبون إليه في أفضل الشهور، كشهر رمضان المبارك وفي محرم وصفر، لاحياء ثورة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته الخالدة التي قصد من ورائها الاصلاح في الأمة، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء سنة جده رسول الله ومنهاج أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وحكومة القرآن الكريم بالعدل والقسط.

إنّ شهر رمضان المبارك شهر الضيافة الإلهية يجتمع المسلمين في المحافل والمجالس في الجوامع والحسينيات وغيرها ليستمعوا إلى الخطباء وإلى دعوتهم إلى حبّ الله وحبّ كل من يحبّ الله، وحبّ كل عمل يوصله إليه، فهناك بواعث فطرية ودينية تهدى الناس إلى المنابر والخطباء، والتفاعل الروحي معهما حتى الضعفاء من المسلمين -شيعة وسنة- ونتيجة هذا التفاعل الديناميكي المتقابل والمتضاعف تحجيم الجرائم والجنایات، وتقليل العصاة المذنبين بحسب الارقام والاحصائيات في كل عام، وإنّه كثير ممّن تابع

على عَلِيٌّ وبنوها الائمة المعصومون عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ.

وهذا يعني إنَّ الطرح كان ولا يزال إِلَهِيًّا في حدوثه وبقاءه.

ويتمحَّض ويختلَّص في محاور ثلاثة:

الأول: الرثاء والبكاء على سيد الشهداء، فقد ورد في الأحاديث المعتبرة المروية عن رسول الله وأهل بيته النصوص الكثيرة التي تحت على إقامة العزاء على سيد الشهداء والبكاء عليه، والانشاد في رثائه، وإنَّه من بكى أو تبكي عليه وجبت له الجنة، وإنَّه من تذرف من عينه دمعة ولو بمقدار جناح ذبابة، فإنه يطفئ نار الغضب الإلهي، وإنَّه من قال بيتاً في الحسين عَلِيٌّ من الشعر بنى الله له بيتاً في الجنة، وغير ذلك من المناقب والفضائل والأجر والثواب بما يفوق تصور البشر.

وإنَّ الائمة الاطهار عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ أقاموا مجالس العزاء وجمعوا عيالهم للنحيب والبكاء، ثم سار الشعراً والعلماء على نهج سلفهم الصالح، وبكلِّ اللغات والقوميات، بإنشاد الشعر والرثاء على سيد الشهداء عَلِيٌّ وبيان قصة عاشوراء، وإيكاء الناس في مجالس النوح والبكاء.

الثاني: جاء الدور الثاني لتكملة الطرح الأول، وذلك باقامة المنابر الحسينية، وتوجَّه الناس إلى الخطباء لمعرفة أحكام الدين وأصوله وفروعه وأخلاقه، ومعرفة أهداف قيام الإمام الحسين عَلِيٌّ ثم معرفة

المحافل والمآتم، وإختلاف أصناف الناس وطبقاتهم، وباختلاف الزمان والمكان فان الكل يحضر مجالس الامام الحسين عَلِيٌّ.

إنَّ سرَّ المنبر الحسيني من أسرار الإمام الحسين نفسه، فلا يعمله إلَّا الله والراسخون في العلم محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ، فكم من أراد أن يطمس معالمه فحاربه، إلَّا أنه إنقلب الأمر عليه، فانحطَّ وزال ومُحِي إسمه ورسمه، وبقي المنبر الحسيني شامخاً يشع منه النور الإلهي، فان الحسين عَلِيٌّ مصباح هدى وسفينة نجاة. وان منبره الشريف ليصنع المعاجز والكرامات، وإنها الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، توتي أكلها كلَّ حين، وتزداد وهجة وضياءً وشوقاً في كل عام، بل في كل يوم وفي كل مكان، فان كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء، فتقام المآتم والمنابر الحسينية طيلة السنة، وفي كل يوم وفي ربع الأرض في القارات الخمس، حتى في أقصى نقاط المعمورة، ترفع راية الإمام الحسين عَلِيٌّ ويقام المجلس والمأتم الحسيني، ويصعد الخطيب والناعي المنبر ليمرثى وينعي ابن بنت رسول الله وريحاته وسبطه الشهيد بكر بلاء أبي الاحرار الإمام الحسين بن علي عَلِيٌّ وأهل بيته وأصحابه الكرام.

إنَّ أول الطراحين والموسسين لهذه المدرسة الحسينية والمنبر الحسيني الخالد هو الرسول الاعظم جده المصطفى محمد عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ ثم العترة الهادية فاطمة الزهراء سيدة النساء عَلِيٌّ وبعلها أمير المؤمنين

الخطابة في القرآن الكريم

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْمِنَةِ
الْخَيْرَةِ وَجَادِلُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١) إن الحديث مع الناس يختلف
بإختلاف أصنافهم وطبقاتهم، فليس الجميع بمستوى واحد، بل
خلقهم الله أطواراً، فمنهم من كان من أهل المنطق وعنه خلفية من
العلم والثقافة والمعرفة، فإنه ين الصاع للقول السديد، ويقبله ما دام
يبتني على المنهج العلمي المدعوم بالادلة العقلية والنقلية، فإنه في
كل دعوى يطالع بالبيبة والدليل ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾^(٢) فيطالع بالدليل القاطع والبرهان الساطع، فمثل هذا
يتكلّم معه بالحكمة والقول السديد وبالمنطق السليم، بمقدمات أولية
تنتهي من النظريات إلى البدويات.

١. النحل : ١٢٥ .

٢. البقرة : ١١١ .

الاسلام المحمدي الأصيل بكتابه الكريم وسنة رسوله الاعظم ﷺ ،
ومنهج الائمة الاطهار علیهم السلام .

فصارت المجالس الحسينية مصدر شعاع لمعرفة الاسلام كما هو في
أصوله وفروعه وأخلاقه، ومعرفة الائمة المعصومين علیهم السلام .

فقام الخطباء والعلماء بدورهم الريادي على أفضل ما يكون في
توجيه الناس وسلامة المجتمع والمحيط وتعريف الناس بما لهم وما
عليهم، ومعرفة أعدائهم وقطع أيادي الاستعمار والاستكبار
الداخلي والخارجي عن بلاد المسلمين، بإيقاظ الجماهير
والشعوب، وكشف القناع المزيف عن وجوه أعدائهم وعملائهم
المأجورين.

الثالث: تشكيل المراكب والهيئات الحسينية وإقامة الشعائر
والمظاهر الدالة على الحزن والأسى، وتتجدد العهد والبيعة مع قصّة
عشوراء، وما جرى في كربلاء في يوم الطف الأليم من المصائب
العظمى التي أبكت الأرض والسماء.

وتواصل هذا المسير الحسيني جيلاً بعد جيل حتى ظهور ولی الله
الاعظم صاحب العصر علیه السلام الأخذ بثأر جده الحسين علیه السلام وشعاره
(يا ثارات الحسين)، فالمنبر والخطيب حلقة وصلٍ حاضرٍ بين
الماضي الحزين والمستقبل الزاهر الباهر.

والآموال^(١).

وعن الإمام العسكري عن جده الرضا عليه السلام قال: (... و منهم قوم نصاب لا يقدرون على القدر بنا. يتعلّمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجّهون به عند شيعتنا، وينقصوننا عند نصابنا، ثم يضيّفون إليه أضعافه، وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيتقبّلهم المستسلمون من شيعتنا على أنه من علومنا، فضلوا وأضلوا وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال...).

إن جيش يزيد بن معاوية إنما قتلوا الأجساد وقطعوها إرباً، وهؤلاء يقتلون الأرواح ويقطّعون دين الناس، ويمزّقون عقولهم، ويشوّهون فطرتهم، ويتلاعبون بمعتقدات الناس وأفكارهم.

لقد ربّي الإسلام في حجره المبارك الخطباء الأفذاذ من الناصحين المخلصين، قادوا الناس إلى شاطئ السلام وساحل السعادة الأبدية، واقتدوا بسادة الخطباء وعمادهم محمد وآل محمد عليهما السلام. فما (نهج البلاغة) لأمير المؤمنين علي عليهما السلام إلا خطبه الرائعة، وكلماته الجامعية، ورسائله البديعة التي تربّى الأجيال وتسعدهم، وإلى الخير والجنان تسوقهم.

١. الاحتجاج للطبرى: ٢ / ٤٥٨ عن مجلة الحوزة: ص. ٩٠.

ومنهم من يتأثر ويقبل المواقع والنصائح من المشهورات والمقبولات والمظنونات المعتبرة، وهم الأكثرية من الناس، ومنهم: من يجادل بالخصم والمخالف، فهذا يأخذ بالتي هي أحسن، بأن يحتاج معه بما يلتزم به، وتنتمي الحجة عليه بمقبولاته ومعتقداته في دينه أو مذهبه أو غير ذلك.

ومثل هذا الخطيب الذي يواجه هولاء الأصناف من الناس، لا بد أن يكون عارفاً بأهل زمانه، عالماً بعلوم كثيرة، ولا سيما بعلمي الاجتماع والنفس.

ولا يحقّ لمن كان أمياً في معلوماته أن يصدّ المنبر، فانّ ما يفسده أكثر مما يصلحه، وما يهدمه أكثر مما يعمّره، والمفروض، كما كان في السابق فيمن يروى الحديث أن يستجاز بنقلها، وتسمى بـ(إجازة الحديث) وكذلك (الاجتهاد) وأن يعطى شهادة لمن يريد ان يدخل في سلك (الخطباء) وذلك بعد دراسته فن الخطابة وتربيته وإختباره وإمتحانه، حتى يعرف الغث من السمين، والعالم من الجاهل، والصالح من الطالح، والخير من الشر، والحق من الباطل.

ثم لا بدّ من تربية المنبرى بما يتناسب مع زمانه ومكانه، وإنّ الخطيب الأمي الجهول، يضرّ ولا ينفع.

قال الإمام الصادق عليه السلام: (وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح

يحسّبه الظمان ماءً، وما هو إلا وهم وخیال.

ولابد من إعادة المنبر إلى أهله وإلى إصالته وساحتاته الواقعية، ولابد للخبراء وأصحاب القرار ومن يحسّ بالمسؤولية من المرجعيات الدينية والمؤسسات الاجتماعية والثقافية، بل والحكومية من مطالعة الضواهر الطارئ ومعالجة الأسباق، ثم إبدال نقاط الضعف بالقوة، وتحكيم المباني، والانتفاع من التجارب، وأن يكون الانكسار جسراً للفوز والنصر، ونقد الذات نقداً بناءً.

إنّ من الأساس في إقبال الناس إلى المنبر والمنبرى وإستقبالهما برحابة الصدر هو أن يكون الخطيب عالماً، ملحاً، ناصحاً، عارفاً بأهل زمانه، وما يحتاجه المجتمع ولا سيما الشباب منهم الذينهم رجال الغد وصناعه، فإنه في عصرنا هذا نعيش الثورة المعلوماتية وعصر الانترنت، حتى كاد العالم كما قيل: أن يكون قرية صغيرة، بل العالم كله في بيتك وفي غرفتك التي تحتوى على الكمبيوتر ومعرفة تشغيله والاتصال بالشبكة العالمية، لفتح النوافذ واحدة تلو الأخرى لتطلع على ما يجري ويحدث في العالم كله ساعة بساعة. فإن الانترنت جعل العالم مكاناً وزماناً بمنزلة القرية الصغيرة والزمان السريع، فكما اخترز المكان في قرية، اخترز الزمان في ساعة.

فأي حادث وواقعة في أي بقعة من العالم يعلمه الجميع خلال ساعة،

إن إنطلاقـة الخطباء في مدرسة أهل البيت عليه السلام في تربية الناس ووعظـهم، إنـما كان من قاعدة حديث التقلـين المتواتـر عند الفريـقـين - السنة والشـيعة - عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في مواطنـ كثـيرـة (إني تارـكـكمـ الشـقلـينـ كتابـ اللهـ وـعـتـرـتـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ ماـ إـنـ تـمـسـكـتـمـ بـهـمـاـ لـنـ تـضـلـلـواـ بـعـدـيـ أـبـداـ).

فكانوا من الـهـدـاةـ يـهـدـونـ النـاسـ بـأـمـرـ اللهـ إـلـىـ الصـرـاطـ الـحـمـيدـ فـيـ ظـلـ القرآنـ الـكـرـيمـ، وـتـمـسـكـاـ بـالـعـرـوـةـ الـوثـقـىـ وـحـبـلـ اللهـ الـاعـظـمـ، محمدـ وـآلـهـ الـمـعـصـومـينـ عليـهـمـ السـلامـ.

كان من قبل إقبال الناس على المنبر والخطيب ممتازاً، إلا أنه في الآونة الأخيرة أصابـ المنـبـرـ فـتـورـاـ وـجـفـاءـاـ، فـإـنـ الـاستـعـمارـ بـمـعـسـكـرـيـهـ الـغـرـبـيـ وـالـشـرقـيـ عـرـفـ كـيـفـ يـدـخـلـ بـيـوتـ النـاسـ مـنـ خـلـالـ الـفـضـائـيـاتـ وـالـقـنـوـاتـ وـالـبـرـامـجـ الـمـتـنـوـعـةـ وـالـمـفـتوـحةـ، وـالـتـيـ تـرـغـبـ إـلـيـهاـ وـتـشـتـهـيـهاـ النـفـسـ الـأـمـارـةـ بـالـسـوـءـ.

فربـماـ يـشـاهـدـ أـنـ حـضـورـ النـاسـ حـولـ الـمـنـبـرـ أـصـبـحـ خـفـيفـاـ وـبـاهـتـاـ، إـلـاـ إنـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ سـرـعـانـ ماـ تـرـزـولـ، وـإـنـهـ سـحـابـةـ رـمـاديـةـ سـرـعـانـ ماـ تـتـبـدـدـ، وـتـذـهـبـ وـتـشـرـقـ مـنـ وـرـائـهـ شـمـسـ الـحـقـيقـةـ بـنـورـهاـ الـبـاهـرـ وـالـزـاهـرـ مـنـ بـيـنـ الـخـطـبـاءـ وـالـمـنـابـرـ مـرـةـ أـخـرىـ.

فـانـ الـمـسـتـقـبـلـ لـلـحـقـ وـلـأـهـلـهـ، وـإـنـ الـبـاطـلـ لـهـ جـوـلةـ وـصـوـلـةـ، وـفـرـسانـ بلاـ رـصـيدـ وـلـأـسـاسـ، بـنـواـ حـيـاتـهـمـ عـلـىـ جـرـفـ هـارـ، وـسـرـابـ بـقـيـعـ

إِسْتَرَاحَ فِي شَيْبِتِهِ - بِطُلُبِ الْعِلُومِ وَكَسْبِ الْمَعْارِفِ وَالْفَنُونِ،
وَامْلأْجَرَتِكَ وَوَعَائِكَ - الْقُلُوبُ أُوعِيَةُ خَيْرَهَا أَوْ عَاهَا - بِالْذَّهَبِ
الْمَصْفَى، ثُمَّ عِنْدَمَا تَنَكُّسَ الْجَرَّةُ، فَانْ نُورُ الْذَّهَبِ وَبِرِيقِهِ يَخْطُفُ
أَبْصَارَ النَّاظِرِينَ.

وَإِذَا قِيلَ: رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الْذَّهَبُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ
عِنْدَهُ الْذَّهَبُ فَانْ النَّاسُ عِنْهُ قَدْ ذَهَبُوا، فَاعْلَمُ أَنَّ هَذَا يَجْرِي فِي
الْذَّهَبِ الْمَادِيِّ وَالْذَّهَبِ الْمَعْنَوِيِّ، فَانْ أَهْلُ الدُّنْيَا يَذْهَبُونَ إِلَى مَنْ
عِنْدَهُ الْذَّهَبِ الْمَادِيِّ وَإِنَّ أَهْلَ الْآخِرَةِ يَذْهَبُونَ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الْذَّهَبُ
الْمَعْنَوِيِّ.

وَإِذَا قَالَ النَّاسُ رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَالُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُ مَا لِي، فَانَّهُ لَا فَرَقٌ
فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأَمْوَالِ الْمَادِيَةِ مِنَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ أَوْ الْمَالِ الْمَعْنَوِيِّ
مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَانْ كَانَ الْأَكْثَرُ مِنَ الْقَسْمِ الْأَوَّلِ، وَقَلِيلٌ مِنْ
عِبَادِي الشَّكُورِ.

فَمَيِّلَ النَّاسُ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الْمَالُ وَالْذَّهَبُ وَالْفَضَّةُ أَمْ طَبِيعِيُّ، فَإِذَا كَانَ
الْخَطِيبُ حَادِقًاً وَذِكِيرًاً كَالْخَطِيبِ الْحَادِقِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَمْيِلُونَ إِلَيْهِ،
وَيَحْمُومُونَ حَوْلَهُ بِحَبَّ وَشَوْقٍ كَحُومِ الْفَرَاشِ حَوْلَ نُورِ الشَّمْعَةِ،
فَإِعْتَبِرُوا يَا ذُوِّ الْأَلْبَابِ، وَيَا أُولَى الْأَبْصَارِ.

فَتَدِيرُ وَتَفَكَّرُ كَيْفَ تَعْمَلُ وَكَيْفَ تَقْدِرُ، وَكَيْفَ تَسْبِقُ الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ
فَإِنَّهُمُ الرَّجَالُ تَزِيلُ الْجَبَالَ.

مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْمَنْبَرَ الْيَوْمَ لَيْسَ كَالْمَاضِيِّ، فَإِنَّهُ يَفْوَقُهُ بِعَشْرَاتِ
الْمَرَّاتِ، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ مِنَ الْخَطِيبِ الْأَعْزَاءِ أَنْ يَتَسَلَّحُوا بِالْعِلْمِ
وَالْمَعْرِفَةِ وَالْقَ ثَافَاتِ الْجَدِيدَةِ وَالْحَضَاراتِ الْقَدِيمَةِ، فَإِنَّ الْخَطِيبَ
الْيَوْمَ لَا يَسْمَعُهُ جَمْعٌ قَلِيلٌ، أَوْ غَيْرُهُ يَعْدُ بِالْمَئَاتِ أَوْ الْأَلْفِ، بَلْ يَسْمَعُهُ
الْنَّاسُ بِالْمَلَائِكَةِ، مِنْ خَلَالِ الْفَضَّائِيَّاتِ وَالْقَنَوَاتِ، فَلَا يَدِيْدُ مِنْ أَنْ يَأْتِي
بِشَيْءٍ جَدِيدٍ عَلَى الْمَسْتَوِيِّ الْمَطْلُوبِ لِيَرْوِي عَطْشَ النَّاسِ، وَيَشْبَعُ
الْجَيَاعَ لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنْ مَنْبَرِ عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ.

فَإِذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ خَمْسَةِ عَشَرَ قَرْنَيْنِ: (اَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَا
بِالصِّنِينِ) كَنَايَةً عَنْ أَقْصَى الْبَلَادِ وَأَبْعَدِهَا آنذاك، فَانِ الْيَوْمِ الْقَارَاتُ
الْخَمْسُ كَلَّهَا فِي بَيْتِكَ وَغَرْفَتِكَ الصَّغِيرَةِ، فَاطْلُبُ الْعِلْمَ وَانتِ فِي بَيْتِكَ
مِنْ خَلَالِ التَّلْفَازِ وَالْمَذِيَاعِ وَالْقَنَوَاتِ الْفَضَّائِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَهَذَا يَعْنِي
أَنَّ الْخَطِيبَ الْعَالَمَ وَالْعَارِفَ عَلَيْهِ أَنْ يَغْذِيَ الْأُمَّةَ وَالشَّعُوبَ كَلَّهَا، فَإِذَا
كَانَ الْخَطِيبُ مِنَ الْعَرَبِ، وَعِنْدَهُ الشَّيْءُ الْجَدِيدُ وَالنَّافِعُ لِلْبَشَرِيَّةِ، فَانِ
خَطْبَتِهِ الْعَرَبِيَّةُ تَرَجَّمَ إِلَى الْلُّغَاتِ الْعَالَمِيَّةِ، وَثَبَّتَ فِيِ الْعَالَمِ، وَالْعَاقِلُ
وَالْحَرَّ تَكْفِيهِمَا الإِشَارَةُ.

أَيَّهَا الْخَطِيبُ الْحَسِينِيُّ وَالْمَبْلَغُ الْإِسْلَامِيُّ مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَتَعَبَّرَ
نَفْسَكَ، وَلَا سِيمَا فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ - فَانَّهُ مِنْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ فِي أَيَّامِ شَبَابِهِ

الدينية أو المؤسسات الحكومية أو الشخصيات الاجتماعية من الأعيان والوجهاء والتجار وأصحاب القرار، فان كل واحد له دوره في تحكيم المنبر والخطيب، وتقديمها نحو الأفضل والحفظ عليهم، وتجريدها من الماديات، فان المقصود من المنبر الرسالي إشاعة المعنويات، ونشر الفضائل والمكرمات في المجتمع، واما الماديات والتي منها هدية الخطيب أثما تلاحظ بمقدار المقدمة، فانها مقصوده بالعرض لا أولاً وبالذات، فيؤخذ منها بمقدار بقاء المنبر، ومن يعلوه من الخطباء الكرام، لأن تكون المادة هو الهدف، ويصب الخطيب جهده من أجل الوصول إليها، فإنه في الواقع سيستأكل من المنبر ومن أصحابه وأولياءه.

وقد ورد في أخبار أهل البيت عليهما مذمة المستأكلين بهم.

قال الإمام الباقر عليهما السلام لأبي ربيع الشامي: (ويحك يا أبا ربيع لا تطلبن الرئاسة ولا تكن ذنباً (ذئباً) ولا تأكلنا الناس، فيفقرك الله، ولا تقل فينا ما لا نقول في أنفسنا، فإنك موقوف ومسؤول) (١).

وقال عليهما السلام لأبي نعمان: (يا أبا نعمان لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفة، ولا تطلبن أن تكون رأساً فتكون دنباً، ولا تستأكل الناس فتفتقر، فإنك موقوف لا محالة ومسؤول، فان صدقت صدقناك، وإن

١. اصول الكافي: ١ / ٢٩٨.

مسؤولية المنبر

إن مسؤولية المنبر في يومنا هذا تعدّ من المسؤوليات الكبرى والخطيرة، فان من ورائها مقاصد عظيمة، من إنارة الطريق وهداية الناس، وتنزيه الدين من الخرافات والأوهام، ونفوذ بصيرة، ومجاربة الأعداء والأجانب، وكشف مخططاتهم ومؤامراتهم، والتعرّيف بالأفضل والأصلح، والإيصال إلى المطلوب، وإرادة الطريق إلى الله سبحانه، وإزاحة الشبهات وكشف الظلمات عن الذهان والمجتمعات، وغير ذلك. وهذا يتطلب الوعي الكامل والجهود المتضاعفة، وسلامة المنبر، وترسيخ أركانه وأسسها في عمق المجتمع الإنساني والإسلامي.

ومن المسلم: إن فاقد الشيء لا يعطيه، وإن النتائج تابعة لآخس المقدمات.

فمسؤولية ذلك كله يقع على عاتق الجميع، حكومةً وشعباً، فان الأمة بكل أطيافها وأصنافها ومشاربها، ومرجعياتها سواء المرجعيات

في رحاب فن الخطابة

إعلم أن الخطبة: تعني: الكلام الذي يتكلم به الخطيب. وقيل في تعريفها: (كلام منثور يمتاز بوعدة العاطفة، ورجاحة الفكر، وحسن السباق، وجمال البيان، وروعه النطق، وعمق التأثير، يتوجه به المتكلم إلى جماعة من الناس حاضرة في مقامه)^(١). وللخطابة دورها في حياة البشر، وبناء صرح المجتمع الإنساني، فانها ضرورة اجتماعية علمية وتربوية في حياة الناس، وفي قضاياهم العقائدية والفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها، فالخطابة، تكتب الفضائل والمكارم، ويبلغ درجات العلى من الكمالات والمحاسن واجتناب الرذائل ومذام الأفعال، وبها تشار الحمية في نفوس الجماهير للدفاع عن الوطن والكرامات وعن الدين، وحفظ الحرمات، وبها يرحب في الخيرات والأعمال

١. الخطبة والخطيب: ٢٥.

كذبت كذبناك).

قال الإمام الصادق علیه السلام: (فرقة أحبونا وسمعوا كلامنا ولم يقتروا عن فعلنا، ليست؟ كلوا الناس بما فيهم الله بطونهم ناراً)^(١). أي فرقة وطائفة من الناس أحبوا الآئمة الاطهار علیهم السلام بقلوبهم، وسمعوا كلامهم ولم يقتروا عن فعلهم، إلا انه ليست كما هو الظاهر، بل كان ذلك مقدمة لبستأكلوا أموال الناس باسمهم علیهم السلام، فيما الله بطونهم ناراً.

قال الإمام زين العابدين علیه السلام نقاسم بن عوف: (إياك أن تستأكل بنا) أى بإسمنا وإدعاء الانتساب إلينا تريد ان تأكل أموال الناس.

قال الإمام العسكري علیه السلام في مذمة محمد بن نصير الفهري وحسن بن محمد القمي والغلاة: (مستأكلين يا كلان بنا الناس)^(٢).

فالحذر الحذر من كان همه من علو المنابر وصعودها الفلوس دون الخلوص؟!

١. تحف العقول: ٥٥٤.

٢. بحار الانوار: ٢ / ٣١٩.

إعداد النفوس لقوة الإقناع وإن لم تبلغ غايتها، كالطب ترشد أصوله إلى معالجة الأمراض لغاية الشفاء ما لم يكن مانع^(١).

وقيل: (هي علم معرفة طرق أداء الكلام، ونقل الأفكار إلى عقول السامعين وأحساسهم بصورة مخصوصة وصفات معينة)^(٢).

وقيل: (الخطابة صناعة علمية بسببها يمكن إقناع الجمهور في الأمر الذي يتوقع حصول التصديق به بقدر الامكان)^(٣).

وبالجملة: سواء أكانت الخطابة فناً أو علمًا، فهي تعني معرفة أصول الخطابة وقواعدها إنطلاقاً من العقل النظري ونهايةً بالعقل العملي. واعلم أنَّ فن الخطابة في عالم التدوين والتصنيف يعدّ من الصناعات الخمس) في (علم المنطق) في قسم (التصديقات) في مبحث (الحجّة) في بحث (القياس).

وانه مركب من مادة وصورة فقد جاء في تعريفه (قول مؤلف من عدة قضايا متى ما سلمت سلمت النتيجة) فيتركب من ثلاث قضايا: من مقدمتين: الصغرى والكبرى ومن نتيجة، وهي ما يذكر فيها الأصغر والأكبر، فإن كان الأصغر موضوعاً في الصغرى ومحمولاً في الكبرى، فهو الشكل الأول، ويشترط فيه إيجاب الصغرى وكلية

١. فن الخطابة واعداد الخطيب على محفوظ: ١٣.

٢. خصائص الخطبة والخطيب لنذير محمد: ٢٢.

٣. المصنف الشیخ المظفر: ٤١٥.

الصالحة كبناء المدارس والمؤسسات الخيرية.

وبها يكون تنفيذ الشعوب وتنمية الأمم وهدايتهم وإرشادهم قال: المحقق الطوسي: (وينتفع بها - أي بالخطابة - في تقرير المصالح الجزئية المدنية، وأصولها الكلية: كالعقائد الإلهية، والقوانين العملية)^(٤).

والخطابة: ملحة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول، لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يريد منهم بترغيبهم وإقناعهم^(٥) فالخطابة فن الإقناع كما مرّ، وقيل: علم يضمّ مجموعة قوانين تعرّف الدارس طرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب. فهو يعني بدراسة طرق التأثير، ووسائل الإقناع، وما ينبغي أن يتّجه إليه الخطيب من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة، وأساليبها وترتيبها).

وقيل: (مجموع قوانين يقتدر بها على (الإقناع الممكن) في أي موضوع يراد. والإقناع: حمل السامع على التسليم بصحة القول وصواب الفعل أو الترك، ووصف (بالإمكان) لأن شأن هذه الصناعة

٤. الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد (صناعة الخطابة). للعلامة الحلي فیetus.

٥. الخطابة لمحمد أبو زهر: ٩.

بين الخطيب ومخاطبه - والخطيب في الأصل اللغوي: صفة مشبهة تدل على ثبوت الفعل واستمراره وأصله من الخطب، فخطب يخطب خطباً وخطيباً.

فالمحاطب والسامع يتأثر بخطبة الخطيب في مشاعره وأحساسه وعواطفه.

وللخطابة آدابها وشرائطها، و Maherityها وكيفيتها وكمتها، وإنها ترافقتها نبرات صوتية تضاهي النغمات الموسيقية في الواقع والإيقاع. فإذا كان الخطيب فناناً، كان بإمكانه أن يقلب الموازين والمعادلات، وأن يلهب المشاعر، ويبيّج الحضور حتى يكونوا كالنار الملتهبة، تنير وتحرق، وتشير العواطف والاحاسيس والاشواق، حتى يقدم على الموت شوقاً، وبكل رحابة صدر.

ولمثل هذا يقال: لا فن كفن الخطابة في الصناعات الخمس في إفاده التصديق الإقناعي، فإن عقول الناس في الغالب غير مستأنسة بالبراهم العقلية، أو أنها قاصرة على إستيعابها أو معرفة مصطلحاتها.

وكذلك الأمر في الجدل، فإنه في تعلقه بالكلمات يجري مجرى البرهان.

فلا صناعة كصناعة الخطابة في الإفادة والاستفادة في مجال الإقناع والقبول في أذهان الجمهور، ويمكن أن نقول: إن البرهان يختص

الكبير، وما بين الأصغر والأكبر يسمى بالحد الأوسط وهو المتكرر والمحمول في الصغرى والموضوع في الكبير، كما يقال: (العالم متغير، وكل متغير حادث: فالعالم حادث، فالحججة ما يقع بعد كلمة لأنّه) و هو الحد المتكرر المتوسط، فإذا قيل العالم حادث، فيقال: وما هو الدليل والحججة على ذلك، فإنه يقال: لأنّه متغير، وكل متغير حادث، فاذن تكون النتيجة أنّ العالم حادث، وهذا هو الشكل الأول بدبيهي الانتاج، ولكل شكل ضرورة ستة عشر، إلا لأنّها بعض الضروب المنتجة وبعضها عقيمة باعتبار ما يذكر في كل شكل من الأشكال شرائطه الخاصة - كما هو مذكور تفصيله في علم المنطق. فتعدد الأشكال المختلفة في القباب إنما هو باعتبار هيئته وصورته، وأما من جهة مواد القياس، فإنه ينقسم إلى خمسة أقسام: البرهان والخطابة والشعر والجدل والسفسطة.

ثانية أقسام القياس هو الخطابة. وإنها عبارة: عن الافصاح بكلام أمم جمع لإقناعهم، أو إشارتهم تجاه موضوع عام أو خاص، وإنها تبني على المشهورات والمظنونات المعتبرة والمقبولات، لأن يستشهد الخطيب بما هو مقبول عند مخاطبيه.

فالخطابة في الحقيقة هو (فن الإقناع) فإن المقصود من وراءها كيف تصنع الآخرين بحديثك وكلامك، فيتم التفاعل الفردي أو الجماعي

تأثير مضاعف في تحريرك الجمهور وتفاعلهم مع الخطابة، وكيف فرق بين الخطابة التي تكون في جمع صغير، وبين الخطابة التي يحضرها بالمئات والألوف.

ثم من أركان وشروط الخطابة أن يكون الكلام بنحو يقترب رويداً رويداً نحو الغرض والمقصود من إيراد الخطبة، وهذا يتطلب من الخطيب أن يكون طرحاً ومبرجاً ماهراً وحاذقاً في سبك الخطابة وترصيف وترتيب مطالبه، ببيان سلسل وساحر وجذاب، فإن من البيان لسحراً، فيتجنب التشویش وعدم النظم الموحد في خطبته، بل المفروض أن تكون الخطبة كالعقد الجميل على جيد فتاة حسنة، فإن درره المنظمة يجعلها السلك الواحد، فإذا انقطع السلك، تناثر الدرر وضاعت بين اليدى والأرجل، وكانت النتيجة التأسف والتفسر على ما فرط في جنب الخطابة.

ثم الخطابة تشتمل على عمود وأعوان، وإن العمود يعني الكلام الذي يثبت المطلوب مباشرة، والاعوان ترمز إلى الأقوال والاحوال الخارجية عن صلب الموضوع المحاطة به، للاحتفال به حتى يساق في موكب بهي، له وقع وإيقاع في الأسماء وال NFOS.

ثم لا بد من تكرار الموعظ، فذكر فان الذكر - وهو تكرار الذكر - تنفع المؤمنين.

ثم على ماذا يدل هذا الحديث الشريف؟ فإن رسول الله ﷺ يقول

بالطبقة الخاصة من العلماء والمثقفين، ولكن الخطابة بلغتها العامة تعم عامة الناس، فان إيمان بعضهم بمظنو ناته ليس أقل قوّةً وإستحكاماً من إيمان الآخرين بعلمهم وقطعهم.

كما أن القرآن الكريم يشير إلى هذا التصنيف في قوله تعالى: ﴿إِذْ عَلِمْتُمُ الْأَنْجَانَ رَبِّكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادَلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

فإن الحكمة برهان لأهل العلم، وإن الموعظة الحسن خطابة لعامة الناس، وجادل خصمائك بالتي هي أحسن، فالزمهم بما التزموا به، وهذا إشارة إلى الجدل، وهو الصناعة الرابعة من الصناعات الخمس. كما أن العوامل المؤثرة في نفوس العامة، الأمثال والقصص والحكايات وما شابه ذلك، فإنها أقرب لطبع الناس من البرهان والادلة العقلية، فإن البرهان يفتقر إلى ترتيب مقدمات من صغرى وكبيرى، ثم النتيجة، ولكن التمثيل والقصة تستغني عن ذلك.

كما أن من أركان الخطابة أن يكون الكلام والبيان في جمع من الناس، ولا يخفى أن للجمع وجداه وعقله الخاص المسماً بالعقل الجماعي، وإن لغته تختلف عن اللغة في العقل الفردي، كما إن فعله وإنفعاله وتفاعلاته يختلف كذلك، فإن العقل الجماعي والجماعي له

من هو الخطيب الفاهم والخبير؟

إن الخطيب الوعي والرسالي من كان عارفاً بزمانه، ويعرف لغة عصره، ويواكب التطور الهائل في الصناعة الثانية وعلى شرف الصناعة الثالثة، التي يتحكم فيها لغة الامواج الفكرية، فيعرف لغة الفضائيات وان التوحيد الخالص وشعاره وكلمته (لا إله إلا الله) أن (لا إله) تعني في يومنا هذا نفي الطغاة والبرمج التي يطرحها الإستكبار العالمي بتiarاته الرأسمالية والاشتراكية والصهيونية والماسونية وغيرها، ويدبر أمرها من وراء الكواليس ومن خلال عملائه في البلاد الإسلامية وبالآليات مختلفة إعلامية وغيرها، وبعد تنظيف العقول والنفوس من الطواغيت والجبابرة في دائرة (لا إله) حينئذ يزرع التوحيد الخالص في نفوسهم وقلوبهم وعقولهم في دائرة (إلا الله) فيكون بين الرفض والإيجاب، وهذا يجري في كل أصول الأعلام وفروعه وأخلاقه وآدابه.

ثم لا بدّ من تعريف الشيطان وعداؤه للإنسان، ومن تعريف جنوده

لجبرئيل الأمين: عظني، فيقول جبرئيل: أحبب من شئت فانك مفارقته، وعشت ما شئت فأنك ميت، وإن عمل ما شئت فأنك ملاقيه. فمثل هذه الموعضة الحسنة من جبرئيل الواعظ، لسيد الانبياء والمرسلين وأشرف خلقه محمد ﷺ المعظ والمذى يكون في مقام الاعاظ وطلب الموعضة؟!

أيها الخطيب العزيز يدل هذا الحديث العظيم أولاً: على أنّ مقام الوعظ والإرشاد والتبلیغ والتعليم، مقام عظيم، فهو من عمل الملائكة المقربين لجبرئيل عليه السلام.

وثانياً: كن جبرئيل الناس في موعظتهم بالمواعظ الحسنة، وهذا من أشرف الوسائل وأفضل المقامات للخطيب أن يكون مثل جبرئيل من زمرة سادة الخطباء وكبارهم.

وثالثاً: عليك بموعضة الجميع، حتى مثل النبي الاعظم ﷺ يطلب من جبرئيل أن يعظه، كما كان من مراجعنا وفقهائنا العظام من يطلب النصائح والمواعظ من الخطباء الآخيار.

أولئك الخطباء العباقرة الذين حملوا الرسالة المحمدية الناصعة على كواهلهم بكل جهد وإخلاص، وبلغوا رسالات ربهم بنصوح وتقوى وإحساس، عارفين بأهل زمانهم، وبعلومهم ومعارفهم وثقافاتهم. ولابد لمن يحسن بالمسؤولية من صناع القرار، كُلّ بقدر ما أوتي من قوة وعدّة أن يقوم بالتكليف ويوظف ما عنده من جهود جهيد، ويسعى من أجل تربية خطباء جيدين وممتازين وبالمستوى المطلوب، بدؤاً من التلامذة والطلاب، ومن خلال الكتب المفيدة، والأساتذة أصحاب الخبرة والتجارب، ومن خلال الممارسة والتمرин المستمر فيما بينهم، حتى يعرفوا نقاط الضعف والقوة في منابرهم وخطبهم.

لابد أن يعرفوا فن الخطابة أولاً، ثم العلم بما يتناسب مع زمانهم ومكانهم، وإنه كيف الدخول والخروج في إيراد الخطبة، وكيف التأثير على النفوس والعقول.

ثم المنبري الحسيني بالخصوص، لابد وأن يستلهم الروح الحماسية من الإمام الحسين عليه السلام نفسه، ومن شورته الخالدة، فان سيد الشهداء عليه السلام كان وارثاً للأنبياء عليه السلام، فلا بد للخطيب أن يعرف فيما ورثهم ويتمثل لذلك، ثم ينقله قولًا وعملاً إلى المخاطبين، كما أن الإمام الحسين عليه السلام خليفة ربّه، فلا بد من معرفة الاستخلاف، فإنه عليه السلام عصارة التوحيد، وخلاصة النبوة، وزبدة الامامة، وتجلى

من الجن والانسان، وتعريف تسويياته ووساوشه وخططه، ثم سوق الناس وقيادتهم إلى عبادة الله سبحانه والخوف من عذابه يوم القيمة، والشوق إلى جنانه التي وعد الله المتقيين، أن ادخلوها سلام آمنين، بل يعلم الناس كيف يبعدون الله عبادة الأحرار والشاكيرين العارفين.

وإذا عرف الناس أبليس وجنته وحزبه، وعرف آثار إتباع خطواته ووساوشه من التخريب والشقاء في الدنيا والآخرة، فإنه لا محالة بفطرته المحبة للكمال والجمال والخير، يقبل على ما فيه نجاته وسعادته وكماله، فيتوب إلى ربّه توبة نصوحاً، ويصلح أمره في نفسه وعياله ومجتمعه.

لابد للخطيب الفهيم الخبير من بيان الإسلام المحمدي الأصيل بلغة العصر والحداثة، بعيداً عن المohoمات والخرافات والبدع، ومما لا أصل له من الوحي من الكتاب والسنة ومنهاج الأئمة الاطهار عليهما السلام، ومن العقل السليم والفطرة الموحدة، فان هذه الثلاثة: (الوحي والعقل والفطرة) أدلة العصمتية التي لا تقبل الخطا والزلل، ولا يستند على مثل الرؤى والمنامات التي لا حجية لها عقلاً وشرعياً، بل لابد من الاستدلال بالوحي والعقل والفطرة إلا انه بلغة الخطابة لا بلغة البرهان.

واما في يومنا هذا فنحن بحاجة ماسة وملحة، بل وضرورية إلى مثل

العاقلة، والنفس الناطقة القدسية، وتسوق المخاطب إلى الفضيلة والاجتناب عن الرذائل من الافراط والتفريط.

فلا بد من دعم الخطابة بفكر صائب، ورأى مستقيم، وأدب رفيع، وقول سديد **﴿قولوا للناس قولاً سديداً﴾** **﴿قولوا للناس حسناً﴾** ولو لا ذلك لكان الأمر كما قال دعبد الخزاعي في قصيدة المعروفة في وصف الإمام الرضا عليه السلام:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقرر العرصات إن الخطيب العالم والخطبة العلمية بلغة عصرية، لتضفي جمالاً على المنبر، ويشعر منه الكمال والجلال، ويتفاعل معه الجمهور والثّخب الاجتماعية، فيعود للمنبر حينئذ إصالته وهويته وإستراتيجيته مرة أخرى.

فلا بد أيها الأعزاء من اليقظة، وإعادة المنبر إلى مكانه المرموق الحقيقي، وإخراجه من أن يكون مذياعاً للخرافات، أو بوقاً للموهومات، بل يكون مصدراً نورانياً يشع منه العلم والمعرفة، وما فيه خير العباد، وإعمار البلاد.

والحذر الحذر من أن نكون من القاصرين أو المقصررين في حق المنبر الكريم والعزيز، فإن له حرمته وشموخه في النفوس وفي المجتمع الإيماني، فمن أضعاه قصوراً أو تقسيراً، دخل في زمرة الظالمين، فإن كان يدرى بذلك، فتلك مصيبة، وإن لم يدر فالحقيقة

كل هذا في يوم عاشوراء في أرض الطف.

إن من أهم الوظائف للمنبري هو الموعظة، وإنها تلين القلوب، وتقوم بتعديل القوى في النفوس، وتضبط الاهواء والشهوات، وتصيق القلوب وتهذب النفوس، وتنير الدروب والطرق إلى الله سبحانه، وتضيء المسارات، وترجع العبد الآبق والغافل والساхи إلى ربِّه، وإلى شخصيته وكرامته وإصالته، وترجعه إلى إنسانيته، وتعلمه فلسفة الحياة وسر الخلقة، وهذا ما يحتاجه الجميع سواء العالم أو الأئمّي، سواء الغني أو الفقير، الرجل أو المرأة، الكبير أو الصغير، بكل طبقات المجتمع وآحاده من الرئيس والمرؤوس، ومن الملك والرعية، والقائد والامة، فإن الجميع سواسٍ في إفتقارهم إلى الموعظة الحسنة.

فالموعظة الحسنة كما أشار إليها القرآن الكريم، هي الأساس في الخطابة، وإنما محور إستراتيجيتها، ومن أقدس أهدافها.

وإذا كان فاقد الشيء لا يعطيه، فالمحروم من كل خطيب أن يكون هو متعظ في نفسه أولاً، ثم يكون واعظاً لغيره، فإن الكلمة إذا خرجت من القلب دخلت في القلب، وإذا خرجمت من أطراف اللسان ولقلقته، فإنها لا تتجاوز آذان السامعين.

إن الموعظة الحسنة من الخطيب المتعظ تكبح الطغيان والاستعلاء في الآخرين، وتلجم الشهوات والرغبات ليكون زمامها بيد القوة

نحن على شرف الصناعة الثالثة، بان يلبي الرجل الآلي طلباتك من خلال قراءة فكرك بأمواج تخرج من الدماغ لتصل اليه، أي العروج من الطاقة إلى الطاقة أو المادة، فإذا أردت الماء منه فيتقل موج خاص إلى الرجل الآلي فيقدم لك الاناء لشرب من دون أن تستعمله بيديك.

إن عصرنا عص المليارد مiliard مiliard، فإنه في الآونة الأخيرة إجتماع الخبراء ليضعوا كلمة (هلا)^(١) لعدد مiliard مiliard مiliard، أي واحد وأمامه أصفاراً بمقدار مiliard مiliard مiliard - وكل مiliard مليون مليون، وكل مليون ألف ألف، وكل ألف مائة، وكل مائة يتربّك من ثلاثة، واحد وأمامه صفران، فاجعل الواحد أمامه: مiliard مiliard مiliard صفر، ولمثل هذا العدد الهائل الذي يبدوا انه من المهوّمات في الوهلة الأولى، وضعوا اسمهاً (هلا) وهو باللغة العالمية في كاليفورنيا الشمالية بمعنى (الكثير الكثير).

وعلى ضوء هذا العدد ستكون الحسابات الرياضية، ويأتي زمان من كان في الشرق يقرأ فكر من كان بالغرب، ومثل هذا العقل البشري كيف لا يسخر ما في الأرض والسماءات، وكيف لا ينفذ إلى

١. صحيفة (افق حوزة) باللغة الفارسية العدد ٢٦٣ السنة الثامنة ١٣٨٨ هـ .
ش.

أعظم.

ثم من الواضح عندما نقول بان المنبر والمنبري لابد أن يكون مواكباً لعصره ليتكلّم بلغته، فهذا لا يعني الانقلاب على الماضي ومجابهته وإتهامه بالرجعية، بل لابد من الحفاظ على الهوية وحفظ الماضي الأصيل، فانه بمنزلة اللبنات الاولى والاساس المستحكم، وبمنزلة الجسد، إلا ان مواكبة الحداثة والعصر يعني تبديل التوب القديم بالثوب الجديد المناسب مع آداب الزمان والمكان، من دون الافراط بسلامة الجسد.

فلا بد لمدارسنا ولا سيما حوزاتنا العلمية من وضع برامج ودورات تعين الطالب، ومن أراد ان يدخل في سلك الخطباء على معرفة زمانه وأهل زمانه من خلال علمي الاجتماع والنفس، فإن الناس اليوم غير الماضي، كما إن رجال الغد غير رجال اليوم، فان لكل زمان جيله وآدابه وشرائطه، ولكن المحتوى والجسد واحد، فان الأصل لم يتغيّر، أو أنه من التوابت والسنن الإلهية التي لن تجد لها تحويلاً ولا تبديلاً، فإنه تحكيم الكل في كل علم وفن، وان الجميل جميل اينما كان ومتى وما كان، كاللوحات الفنية، فانها بعد قرون لا يزال المشاهد يعجب برسومها وألوانها.

ان التكنولوجيا الصناعية في تطور وتقديم فمن الصناعة الأولى من الحجر إلى البخار، وإلى الصناعة الثانية من البخار إلى الطاقة، وهذا

على رقاب الناس والمستضعفين بلغة الارهاب والعنف والقتل والسجن والتشريد والنفي والاضطهاد وبيع الوطن الغالي، وقمع الاحرار وخنق الاصوات الحرّة الوعية التي تريد التحرّر من الاستبداد وتسلط الاجانب وعملائهم من الدكتاتوريين والحكومات الفاسدة والفاشقة.

وليعلم اولئك العملاء أنه اذا أراد الشعب الحياة الحرّة يوماً، فلابد للقدر أن يستجيب، ولا بد للقييد أن ينكسر، وللليل أن ينجلّى، وتشرق شمس الحرية والعزّ والكرامة الإنسانية. وان هذا لقرير، أليس الصبح بقريب.

أقطارها، إلّا إنه لا ينفذ إلّا بسلطان من الله سبحانه.

إن من الضروري جداً للعلماء والخطباء أن يجيدوا (معرفة الزمان والمكان) و(معرفة أهل زمانهم) فيعرفوا الصديق من العدو، والجيد من الرديء، والفضل من الأفضل.

أتدرى انّ تسلّط الاستعمار والاستكبار في بلادنا وحكومتهم علينا سياسياً واقتصادياً، وحتى ثقافياً ودينياً، وإستثمار الجهود، وإستبعاد النفوس، ونهب الثروات، إنما كلّ هذا، كان نتيجة مطالعاتهم القديمة والدقيقة في معرفة الزمان والمكان ومعرفة الناس بكل أطيافهم وأصنافهم وقومياتهم ولغاتهم، ومعرفة عقائدهم وتقاليدهم ومراسيمهم وأذابهم وحياتهم الفردية والاجتماعية، وسلوكهم الذاتي والجماعي، فدخلوا بلاد المسلمين بعنوانين مختلفتين، ومنها الاستشراق، لمعرفة هذه القضايا الأساسية التي تعدّ اللبنات الاولى لاستعمار البلاد وإستئماره وإستعماره.

إلّا انه من المؤسف وما يقطع نيات القلب أنّ بلادنا الاسلامية ومن بيدهم القرار قد غفلوا او تغافلوا عن ذلك، وأهملوا هذا الجانب الحيوي، فباؤوا بالفشل والتقهقر والتراجع يوماً بعد يوم، والانحطاط وقد الهوية، وذهب ريحهم وعزّتهم بخدمة الاستعمار وأذابهم، لاسيما في المنطقة وفي الشرق الأوسط والبلاد العربية، فابتلينا بحكّام وملوك يلحسون أقدام الأجانب ويلتّمونها تقبيلاً، ليتسلّطوا

الوقت الثمين.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: إياك والكلام فيما لا تعرف طريقته، ولا تعلم حقيقته، فإن قولك يدل على عقلك، وعباراتك تُنبئ عن معرفتك^(١).

إن الخطيب الذي يستشهد بين الناس بفراغه العلمي والثقافي، وسطحيّة منابرها وخطبها، فإنه سرعان ما يفقد جمهوره، ولا سيما الخواص من الطبقة المثقفة، فلابد من الدراسة الكاملة في كل موضوع، ولا يقحم نفسه فيما لا يعلم، ويدلو دلوه في بئر غيره. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لا تقل ما لا تعلم، فتُنهم بإخبارك بما تعلم)^(٢).

لابد للخطيب الناجح أن يطالع حول الموضوع المطروح بما يتعلّق به من الآيات والروايات والأشعار والقصص، ولا يعتمد على ذاكرته ومحفوظاته، كما عليه أن يعتمد على المصادر والمراجع الأولية، ثم المصادر الأخرى والجديدة في بيان مطالبه.

الثاني: معرفة المخاطب والسامع، فإن من العناصر المهمة في الخطابة الناجحة أن يعرف الخطيب مستوى الجمهور المخاطب،

١. غرر الحكم: الرقم: ٣٧٣٣.

٢. المصدر نفسه: ٨٣١.

العوامل المؤثرة في بيان الخطيب المؤثر

إن تأثير كلام الخطيب أو المبلغ أو المحاضر إنما هو نتيجة مجموعة عوامل وعلل تكمّل بعضها بعضاً، ولا يمكن الاستغناء عنها، وربما تعدد منزلة أركان الخطابة والشروط الأساسية في فن الخطابة وتربيّة الخطيب، وهي كما يلي:

أولاً: الوعي الكامل في الخطيب: بأن يكون كلامه النافذ في النفوس عن بصيرة كاملة ومعرفة تامة، وهذا يتطلب أمور:

الأول: أن يتم بالموضوع المطروح في خطابه بدراسة كاملة ومستوعبة ومدرّسة، من كل الجوانب وقد هضّمها هو بنفسه أو لا بهضم كامل، بعد أن يطّبع الموضوع بطبعة جديدة وشهيّة، ذات نكهة طيّبة وبمواد طاهرة ونظيفة، ولا يكتفي بان يطالع الموضوع قبل ساعات من صعوده المنبر، وقبل أن يستوعب المطلب من وجود ثغرات وفجوات من الشبهات والإشكالات التي تحوم حول الموضوع، مما يساعد المخاطب على إقتحام وادي الضياع وإتلاف

وقد قاله الله ورسوله^(١).

قال رسول الله ﷺ: قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل (يا بني إسرائيل لا تحدثوا بالحكمة الجهمال فتظلمونها، ولا تمنعوها أهلها فتظلمونهم).

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (من لم ينشط لحديثك، فارفع عنه مؤنة الاستماع عنك).

وهذا من روائع الأحاديث وجوامع الكلم ذات المغزى الكبير والجميل في معرفة نفوس المخاطبين، كما في علم النفس وعلم الاجتماع، وعلم المنابر، فإنه من لم تنشطه كلماتك وحديثك، فالمفروض حينئذ أن تسكت وترفع عنه مؤنة وثقل الاستماع منك، فإذا رأى الخطيب أن الجمهور يتضجر من الحضور باى سبب كان، وأن حديث الخطيب قد أصبح عليه أثقل من الجبال، فالمفروض من الخطيب الحاذق أن يرفع عن كاهل جمهوره ثقل خطابه، فإنه حينئذ لم تكن الخطابة بمنزلة الدواء النافع، بل تكون كالسم القاتل.

الثالث: معرفة الأسلوب: وهذا من العوامل المهمة في الخطابة الناجحة، لأن يعرف الخطيب أساليب الكلام والحوارات، وكيفية الخطابة والتبلیغ مع مراعاة الشرائط الزمانية والمكانية، وهذا من

١. التبلیغ في الكتاب والسنة: الرقم ٣٥٢ عنه «كتاب ربيعي».

ومقدار ثقافتهم ومستواهم العلمي، وأن يضع الحروف على النقاط، فإن الحديث مع القرؤي يختلف عن الحديث مع الحضري، والحديث مع المثقف يختلف مع الرجل الأمي، كما أنَّ الكلام مع الكبار يختلف مع الأطفال، وكذلك النساء مع الرجال، فالمفروض أن يضع الأشياء في مواضعها، كما ورد ذلك في وصف الحكيم والعادل والعاقل، بأنه من يضع الشيء في موضعه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) والخطباء ورثة الانبياء، فلا بد من ملاحظة هذه المعلومة، وأخذها بنظر الاعتبار.

ثم الزمان والمكان عنصران أساسيان في بلورة الخطابة وطرحها، وفي جذب الجماهير وتفاعلهم، فربَّ كلام في مكان وزمان يكون مناسباً ومؤثراً، إلا أنه في مكان آخر وفي زمان آخر يفقد حلاوته وطلاؤته، أو يعطي نتائج سلبية، وربما تكون بمنزلة معاول للتدمير والتخريب بدلاً من أن تكون وسائل الاعمار والازدهار.

قال الإمام الصادق عليه السلام: (حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحببون أن يُسبَّ الله ورسوله؟ قالوا: وكيف يُسبَّ الله ورسوله؟ قال: يقولون إذا حدثتموهم بما ينكرون (عن قائل هذا)

ويسترسل فيه من دون رويةٍ ودرامية، ومن دون أن يعرف الزمان الذي هو فيه، وما يتطلبه ويفتقره إليه المجتمع المعاصر له.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (حسب المرء من غرمانه - من حرمته - علمه بزمانه) ^(١).

قال الإمام الصادق عليه السلام: (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللواكب) ^(٢).
عود على بدء:

وثانياً: الإيمان الراسخ في معتقداته الدينية والأخلاقية، فيكون حاملاً لقلب مؤمن بمادته وأصول دينه وفروعه، ويكون كالجبل الراسخ لا تحركه عواصف الشبهات والشكوك، ولا يثنى عزيمته في إصلاح المجتمع وإرشاد الأمة، وصعوده المنبر التبليغي والإرشادي، فإنه بإيمانه ومن ورائه حب الله وحب خلقه، يفوز بمقصده ومراده، وتميل إليه القلوب، وتهوى منبره وخطاباته.

فلا بد للخطيب من أن يذكر ربه في نفسه بلا انقطاع، ولا ينساه طرفة عين ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ^(٣).

لابد لإيمان الخطيب من أن يصل إلى حد اليقين بمراتبه الثلاث: علم

١. البحار: ٨ / ٧٨.

٢. تحف العقول: ٣٥٦.

٣. الحشر: ١٩.

أصول البلاغة بعد مراعاة الفصاحة في الكلمة والكلام، كما في علمي المعاني والبيان.

قال الإمام الصادق عليه السلام: (ثلاثة فيهن البلاغة: التغرب من معنى اللغة - أي المعنى التي تتغيره تغريب عنه - والتبعـد من حشو الكلام - أي الكلام الزائد الذي لا فائدة فيه - والدلالة بالقليل على الكثير) ^(٤).

وهذا ما يعرف عنه بقولهم: (خير الكلام ما قلّ ودلّ).
فتتجنب الخطيب من الكلام المتكرر، وفي نقل الآيات والروايات من دون تنظيم وتسلسل يتلائم مع الموضوع المطروح، ومن دون القول السديـد من البراهين والحجـج القوية والمنطقـية.

إن الخطابة كالموجود الحي، وكالإنسان المناسب في أعضائه وجوارحه، فكلـ في محلـ، بحيث لو غيرـ عن مكانـه وموضعـه لتشوهـت الصورة، وقدـت جمالـتها وكماليـتها، وكذلك الأمرـ في الموضوعـ المطروحـ لا بدـ أن يكونـ طرحـه بنحوـ تكونـ صورـته جميلـةـ وكاملـةـ، ذاتـ صوتـ متناغـمـ ومتـعادـلـ من دونـ صـخبـ وكـسلـ وضـجرـ.
الرابعـ هو معرفـةـ الزـمانـ: فـانـه لاـ بدـ للـخطـيبـ أنـ يـكونـ عـارـفـاـ بـزـمانـهـ وبـأـهـلهـ، فـمـنـ لـمـ يـرـاعـ الزـمانـ وـآدـابـهـ وـشـرـائـطـهـ وـمـنـاسـبـاتـهـ وـحـوـادـثـهـ، فـسـرـعـانـ مـاـ يـفـشـلـ فـيـ خـطـابـاتـهـ، فـلـاـ يـلـقـيـ الـكـلامـ عـلـىـ عـواـهـنـهـ،

٤. التبليغ في الكتاب والسنـةـ: الرـقمـ ٣٥٢ـ عـنـهـ «ـكـفـتـارـ رـبيـعـيـ»ـ.

مع الحقائق الربانية، فلابد من التخلص منها، لمن كان داعياً إلى الله عزوجل، فإن الذي يصعد إلى الله سبحانه إنما هو الكلم الطيب والعمل الصالح المخلص، وإن ما ينفع الناس يمكث في الأرض، واماً الزبد فيذهب جفاءً، وهذا من سنن الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ولا تبديلاً.

رابعاً: التصح وأن يكون من خير الناس: فإن المبلغ والخطيب الناجح من كان في وجوده يموج النصح، فيخلاص في دعوته وموعظته الحسنة، ويبحث الناس على فعل الخير وما يسعدهم في الدارين، لأنه عرف أنّ سعادة الناس في ذلك، حينما يرى نفسه سعيداً بذلك، ولا يتخد المنبر وسيلة لإرضاء رغباته وشهواته، وللتباكي بعلمه، أو أن يطرح نفسه، ويجادل منافسيه، أو يزيح رقبائه عن الساحة، بل يكون كما قال هود النبي عليه السلام: ﴿أَنَا لِكُمْ نَاصِحٌ أَمْنِي﴾^(١).

إن المبلغ في واقع نفسه محب للخير، ويريد الخير للناس كالطبيب المعالج النصوح الذي يفكّر بعلاج وصحة وسلامة مريضه مهما كلفه الأمر.

خامساً: الرأفة والحب: فإن الخطيب رؤوف رحيم يود الناس ويحبّهم، ويرأف بهم، يحترم كبيرهم، ويعطف على صغيرهم، كالوالد

اليقين وعيّن اليقين وحق اليقين، فإنه وارت من قال عنهم سبحانه وتعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

وكلّما إزداد هدى وإيماناً وتقوى وتقرّباً من ربّه، إزداد نفوذاً في قلوب الناس، فإن الكلام: (إذا خرج من القلب دخل في القلب). وثالثاً: الإخلاص في العقيدة والعمل، وهذا يعم كل مؤمن ومؤمنة إلا إنه في الخطيب والعالم ومن كان في هذا المسلك، يتجلّى أكثر فأكثر، فمن كان من ورائه فكرة الماديات بان يكتسب من المنبر أموالاً وما شابه، فليعلم أنه لا يؤثر كلامه في النفوس، مهما كانت كلماته معسولة ومرتبة ومبرمجة وبكلمات فصيحة وبليغة، بل لذهب كالرّياح، أنّ رمز الموقفية في خطاب الانبياء والوصياء ومن يحذو حذوهم وخلودها، كان يكمن في إخلاصهم، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام من أعماق وجوده يصرخ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

إن الاقبال والإدبار والمظاهر المادية، ومدح الناس وثنائهم والسمعة والإطراء، وشائبة من الرياء، إنما هي أوهام عند مقاييسها

١. السجدة: ٧٤

٢. الأنعام: ١٦٢

لحظة من حياته، وقبل أن يعاين عالم البرزخ والآخرة، فإنه ينسد عليه باب التوبة حينئذ، وكم لنا في حياتنا من شواهد عينية، فكم من الكفار من صار مسلماً، وكم من المسلمين من اهتدى إلى مدرسة أهل البيت ومذهبهم فاستبصر وكتب (ثم اهتديت)، وكم كان من اتباعهم فاسقاً، فتاج وصار من الصالحين كبشر الحافي.

فعلى الخطيب أن يقدم نصيحته في طبق من الاخلاص، وبأسلوب أدبي شيق وحكيم ورائع وبكلام لين حتى لو كان مخاطبه فرعون زمانه، كمن يقدم باقة من الزهور والرياحين إلى أعز صديق، فيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(١).

مع قوة البرهان وإستحکام الدليل ﴿قُولُوا قُوْلًا سَدِيدًا﴾^(٢) مع جمالية في القول وظرافة في الطرح والعمل ﴿قُولَا لَهُ قُوْلًا لَتِيَّنَا﴾^(٣) مع أدب وحسن أداء ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا﴾^(٤) وبكل حكمة وعدل ﴿إِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدُلُوا﴾^(٥) وبهذا يجمع في مقالته وخطبه بين مقومات الكلام من الجمال والحسن والجامعة والمانعية، أي جامع للافراد ومانع من

١. الحج: ٢٣.

٢. النساء: ٩.

٣. طه: ٤٤.

٤. النساء: ٩.

٥. طه: ٤٤.

الشقيق والام الحنون، فـيـتـجـبـ إـحـتـقـارـهـمـ أوـ إـذـلـاهـمـ،ـ أوـ مـلامـتـهـمـ أوـ طـرـدـهـمـ،ـ بلـ يـعـطـيـ الشـخـصـيـةـ المـرـمـوـقـةـ لـجـمـاهـيرـهـ وـمـحـبـيـهـ،ـ ولاـ يـزـهـدـ فـيـمـ يـرـغـبـ فـيـهـ،ـ وـلـاـ يـضـيـعـ عـلـيـهـمـ أـوـقـاتـهـمـ،ـ أـوـ يـسـفـهـ عـقـولـهـمـ،ـ أـوـ يـسـتـغـلـ عـوـاطـفـهـمـ لـمـآـرـيـهـ الشـخـصـيـةـ،ـ بلـ يـكـوـنـ كـمـاـ قـالـ أـمـيـرـ المؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـاـ فـيـ وـصـفـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـاـ سـلـاـمـ:ـ (طـبـيـبـ دـوـارـ بـطـبـهـ،ـ قـدـ أحـکـمـ مـراـہـمـ،ـ وـأـحـمـیـ مـرـاسـمـهـ)^(٦).

فـكـانـ مـنـ مـنـطـلـقـ النـبـوـةـ الـهـادـيـةـ يـدـورـ بـيـنـ النـاسـ كـالـطـبـيـبـ الـحنـونـ،ـ يـضـعـ الـمـرـاـہـمـ عـلـىـ جـرـوـحـهـمـ لـتـنـداـوـيـهـمـ وـمـعـالـجـتـهـمـ،ـ وـإـذـاـ اـقـضـىـ الـأـمـرـ أـنـ يـكـوـيـهـمـ،ـ فـاـنـهـ يـضـعـ الـمـوـاصـمـ الـمـحـمـاـةـ عـلـىـ الـدـمـاـمـيـلـ مـثـلـاـ،ـ فـإـنـ آـخـرـ الـدوـاءـ الـكـيـيـ.ـ فـكـانـ حـرـيـصـاـ عـلـىـ النـاسـ،ـ وـبـالـمـؤـمـنـيـنـ رـؤـوفـاـ رـحـيمـاـ حتـىـ خـاطـبـهـ اللهـ سـبـحـانـهـ:ـ (فـلـعـلـكـ بـاخـعـ نـفـسـكـ عـلـىـ آـثـارـهـمـ)^(٧).

سـادـسـاـ:ـ حـسـنـ الـظـنـ بـالـنـاسـ فـلـيـقـطـعـ أـمـلـهـ فـيـ هـدـايـتـهـمـ وـإـتـعـاظـهـمـ وـرـجـوـهـمـ إـلـىـ الصـوـابـ وـإـلـىـ رـيـبـهـمـ،ـ أـيـ وـاحـدـ كـانـ مـنـهـمـ،ـ وـمـهـمـاـ كـانـتـ سـوـءـ أـعـمـالـهـ وـأـخـلـاقـهـ،ـ حتـىـ لـوـ إـشـتـهـرـ فـيـ الـمـجـتـمـعـ بـالـشـرـيرـ الـفـاجـرـ،ـ فـاـنـكـ لـاـ تـدـرـيـ عـاقـبـةـ النـاسـ،ـ فـعـسـىـ اـنـ يـهـتـدـىـ عـلـىـ أـشـرـ خـطـابـكـ وـمـوـعـظـتـكـ.ـ فـاـنـ بـابـ التـوـبـةـ مـفـتوـحـ لـلـجـمـيعـ حتـىـ يـعـاـينـ،ـ أـيـ إـلـىـ آـخـرـ

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.

٢. الكهف: ٦٠.

ثامناً: الصدق في القول والفعل والتفكير:

إن قيمة كل إمرء بفكرة وبما يحسنه، من العلم النافع والعمل الصالح، وإن الفكر إمام العقل، وإن العقل إمام القلب، وإن القلب إمام الجوارح، فما يظهر على جارحة الإنسان من قول أو فعل، فائماً هو نتيجة فكره، فان كان الفكر صالحاً إلهياً وإيجابياً، كان العمل كذلك، والعكس بالعكس.

فالخطيب لابد أن يكون صادقاً في فكره وقوله عمله، ومن الواضح أن للصدق مفهوماً عاماً يشمل كل جوانب الحياة ومجالات العيش، سواء في العقائد أو الأخلاق والسلوك أو الأفعال والأقوال.

لقد كان الناس والمشركون من قريش يعرفون النبي الأعظم محمد ﷺ قبل بعثته وقبل كل شيء، بالصادق الأمين، ولا يخفى أن الخطيب الإسلامي إنما يرث الانبياء من آدم إلى الخاتم، وهو أولى من غيره بان يتأسى بنبيه؛ ويهدى بهداه، كما ان للأنبياء لسان صدق كما وصفهم الله سبحانه: «وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صَدْقَةٍ»^(١).

فالخطيب الصادق الأمين لا يقول إلا صدقاً، ولا ينقل إلا أن يثبت عنده ما ينقله. ومثل هذا الخطيب يكون نوراً باهراً وزاهراً على المنبر، فان الصدق تور، وإنه من جنود العقل الذي خلقه الله من نوره،

١. مريم: ٥

الاغيار ليهديه إلى الصراط الحميد، والمنهج القويم، من دون اليأس من هدايته، فكم شقي سعد بنصيحة ناصح. وكم من ميت القلب عادت حياته بنبخة قدسية، أو انقاد حشارة في قلبه، فأضات آفاق الخير في حياته من جديد.

قال رسول الله ﷺ: ان الله في دهركم نفحات فتعرضوا لها ولا ترموا عنها.

سابعاً: مطابقة القول والعمل: فان المبلغ والخطيب الذي قوله يعكس عمله، وعمله يعكس قوله، أي مطابقة الظاهر مع الباطن والغيب مع الشهود، ويرى الجمهور ذلك في واقع معاشة وحياته الشخصية الفردية والاجتماعية، فإنه لا شك يتأثر ويتفاعل معه، ومع منابرها، ويعتقد بوجود الحقيقة، ومن هذا المنطلق قد ذم الله اولئك الذين يأمرن الناس بالمعروف وينسون أنفسهم، «لَمْ تَقُلُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ»^(١).

وقلنا تكراراً لتكرير وترسخ هذا المعنى في قلوبنا وسلوكنا ووجودنا: (إن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان)^(٢).

١. الصف: ٢.

٢. شرح بن أبي الحميد: ٣ / ٢٨٧ عنه «كتاب رفيعي».

عقائد الناس ومذاقهم وما رأيهم وسلوكياتهم، والغالب على الناس أنه كل واحد يجرّ النار إلى قرصه، لحبه الذات ولإإنانيته بالطبع، وحينئذٍ في مواجهتهم سيلتقي المتابع والأذى، فلابد من شرح صدر وسعته، وكما ورد في الخبر (آل الرؤاسة سعة الصدر) وإن الله ليشرح صدره للإسلام، ولدعوة الناس، ليقابل لجاجتهم وجههم وحسدهم ونقدتهم وإعراضاتهم، وإختلاف سلائفهم وأذواقهم، فان كل واحد يريد من خطيبه ومبلاعه أن يمشي على هواه، وما يؤمن مصالحه الشخصية، ولو إتبعت أهوائهم لأضلوك من بعد ما جاءك من العلم، ويريد منه أن يتبعه بدلاً من أن يكون هو التابع له، ولمثل هولاء لابد للخطيب من التسلح بأخلاق عالية وسماحة فائقة، وخلق رفيع، وشرح صدر واسع.

إنَّ الْأُمَّةُ وَالجَمِيعُ وَالشَّعْبُ وَالجَمَاعَةُ بِمَنْزِلَةِ الْبَحَارِ الَّتِي تَحْتُوِي عَلَى كُلِّ الْحَيَوانَاتِ عَلَى إِخْتِلَافِ أَحْجَامِهَا وَأَشْكَالِهَا وَأَلوَانِهَا فَمِنْهَا حَالَ أَكْلَهُ، وَمِنْهَا حَرَامٌ، مِنْهَا الْحُوتُ الْكَبِيرُ، وَمِنْهَا السَّمْكُ الصَّغِيرُ... كَمَا إِنَّ النَّاسَ مَعَادِنَ كَمَعَادِنِ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَالْحَدِيدِ وَالْفَحْمِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ كَالْفَحْمِ الْأَسْوَدِ، يَنْفَعُ لِلْاحْتِرَاقِ، وَمِنْهُمْ كَالْذَّهَبِ الْمَصْفَى يَلْمَعُ بِرِيقِهِ فِي حُلَّى جَمِيلَةٍ عَلَى صَدْرِ فَتَاهِ حَسَنَاءِ.

فالخطيب يواجه مثل هذه الأشكال والأصناف في الناس كذلك، فلابد من سعة صدر وإن شراح، ليتحمل إستهزاء المستهزئين، ونقد

ومن يمين عرشه، كما ورد في الاخبار.

وقد مدح الله الصدق والصادقين في كتابه الكريم كما ذم الكذب والكافرين ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَاحٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) ﴿أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَQُونَ﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأُ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وهذا غيض من فيض في تعظيم وتكريم الصدق والصادقين، فكونوا مع الصادقين من الخطباء الرساليين والملتزمين. وقد ذكر المحدث النوري في كتابه (اللؤلؤ ومرجان في أداب أهل المنبر) أنَّ من أهم شرائط المنبرى المتدلين هو الاخلاص والصدق، وتحددت عنهما بالتفصيل.

تسعاً: شرح الصدر

فإنَّ كُلَّ خَطِيبٍ وَمَبْلَغٍ فِي طَرِيقِ تَبْلِيغِهِ رسَالَاتِ رَبِّهِ، يَلَاقِي الصَّعْوَدَاتِ وَالْمَتَاعِبَ وَالْمَصَابِ، كَمَا كَانَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الْكَلَّ، لَا خَتْلَافٌ

(١) المائدة: ١١٩.

(٢) الزمر: ٣٥ - ٣٣.

الخطابة، فلا يكون جبأً ضعيف النفس في إظهار الحقائق، بل لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يخشى أحداً من الناس في تبليغ رسالات الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾^(١).

إن من الصفات البارزة في الانبياء في مقام الدعوة والارشاد شجاعتهم وبسالتهم وبطولتهم، فكانوا يصارعون المشاكل والدواهي والمصاعب والمتاعب بما هو الأفضل، ولا يهابون الناس مهما كان، من ملوك أو حكومة أو رعية، ماداموا على الحق، وينطقون به ويدعون إليه، وإذا كان بين مخاطبيه ومن يحضر مجلسه من يعرف موضوعه كوجود عالم أعلى منه درجة في العلوم، فإنه لا يرتكب ولا يتزلزل، بل يقف موقف الصلب ويخاطب الجميع، وكأنه لأول مرة يقدم بحثه والمعلومة التي أعدّها المنبره.

الثانية عشرة: الجامعية والشموليّة

يمتاز الإسلام بجماعيته وشموليته، وكذلك خطباء الإسلام، فلا بد أن يكون المبلغ الخطيب جاماًً وموسوعياًً، لأن خطابه لجميع طبقات الناس على اختلاف مستوياتهم، فلا بد أن يجمع بين العقائد وعلوم القرآن وعلوم الحديث والتاريخ والعلوم العصرية والأكاديمية،

.٣٩ .الاحزاب:

الناقدين، وكيد الحاسدين، وجهل الجاهلين، وجمود المتجحررين، ولا ييأس أو يتضجر أو يتکاسل عن أداء وظيفته، والعمل بتکليفه، من إرشاد الناس وموعظتهم، وتغيير المجتمع من السيء إلى الجيد، ومن الفاضل ثم الأفضل. عاشراً: الوقار والسكينة.

فإنه لا بد للخطيب المبلغ أن يحافظ على وقاره وسكننته، كما يراعي جانب اللين والسماحة مع الناس، فلا يتصور أن الناس كلهم من العصاة الخونة ومن الفاسقين، فلا يخاطبهم إلا بلغة اليأس المطلق، بل عليه أن يجمع بين الخوف والرجاء، وبين اليأس والأمل، ويأخذ بالحد الوسط بين الإنذار والتبشير، فيكلّهم تارة بلسان الإنذار والتحذير وبيان المخاطر والأهوال، وأخرى يتكلم معهم بروح السماح، وبلغة الشوق والمحبة والعطوفة والحنان والأمل بالمستقبل. فلا يكون فطاً غليظ القلب كما قال سبحانه مخاطباً نبيه ومن يحذو حذوه: ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فِطْأَ غَلِيلَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

الحادية عشرة: الشجاعة والجرأة الأدبية. فإن لشجاعة المبلغ وصموده، دور هام في مجال التبليغ ودائرة

.١٥٩ آل عمران:

(الناسية) بان يعيش آلام الناس وهمومهم، ولا يتطاول عليهم، أو يشعر في نفسه أنه يمتاز عليهم.

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ مَنْ عَبَدَهُ أَنْ يُرَاهُ مُتَمِيِّزاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ).^(١)

إذا كان الناس في محنـة وورطة في حياتهم المعاشرـة من أزمـة سياسـية أو اقتصـاديـة أو غيرـهما، فالـمـفـروضـ منـ المـبـلـغـ الخطـيـبـ أنـ يـنـزـلـ إـلـىـ السـاحـةـ قـبـلـ غـيرـهـ، وـأـنـ يـعـيشـ بـنـفـسـ الـمـسـتـوىـ معـ مشـاكـلـهـمـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـفـسـيـيـةـ، بلـ يـكـونـ بـيـنـهـمـ كـالـشـمـعـةـ التـيـ تـحـترـقـ مـنـ أـجـلـ إـضـاءـةـ الـآخـرـينـ.

الخامسة عشرة: بساطة العيش

فـاـنـهـ مـنـ كـانـ يـحـثـ النـاسـ عـلـىـ الزـهـدـ وـتـرـكـ فـضـولـاتـ الدـنـيـاـ التـيـ تـمـنـعـ عـنـ الـآخـرـةـ وـعـنـ ذـكـرـ اللـهـ، وـلـاـ تـكـونـ الدـنـيـاـ مـزـرـعـةـ الـآخـرـةـ وـمـتـجـرـ أـوـلـيـاءـ اللـهـ، فـاـنـهـ أـوـلـىـ بـالـزـهـدـ مـنـ غـيرـهـ، وـكـذـلـكـ الدـعـوـةـ إـلـىـ الـورـعـ وـالتـقـوـىـ وـسـلـامـةـ الرـوـحـ وـطـيـبـ النـفـسـ وـالـعـيـشـ الـمـحـمـودـ، فـاـنـهـ يـكـونـ السـبـاقـ بـذـلـكـ، فـلـاـ يـعـيشـ فـيـ القـصـورـ الـعـالـيـةـ وـالـبـرـوجـ الـمـشـيـدةـ، وـيـتـحدـثـ لـلـفـقـرـاءـ وـيـنـصـحـهـمـ بـالـزـهـدـ وـالـقـنـاعـةـ وـالـصـبـرـ عـلـىـ فـقـرـهـ وـمـسـكـنـتـهـمـ، وـاـنـ كـانـ ذـلـكـ حـسـنـاًـ، إـلـاـ أـنـ النـاسـ يـتـأـثـرـونـ بـالـعـامـلـ

١. كـحلـ الـبـصـرـ: ٦٨ـ عـنـهـ (ـكـفتـارـ رـفـيعـيـ).

وـالـمـسـائـلـ الـفـقـهـيـةـ وـالـقـضاـيـاـ الـعـرـفـيـةـ وـالـادـابـ وـالـسـنـنـ وـالـتـقـالـيدـ وـالـقـصـصـ وـالـمـعـلـومـاتـ الـعـامـةـ، وـاـنـ يـأـخـذـ مـنـ كـلـ عـلـمـ وـفـنـ لـبـهـ، وـاـنـ يـحـفـظـ رـؤـوسـ الـمـطـالـبـ مـعـ آـيـاتـ وـأـحـادـيـثـ الـمـوـضـوـعـ الـمـطـرـوـحـ، وـلـاـ يـكـتـفـيـ بـوـرـيقـاـتـهـ الـمـكـتـوـبـةـ، بلـ يـكـوـنـ عـنـهـ حـصـيـلـةـ مـنـ الـشـقـافـاتـ الـمـعـاصـرـةـ وـالـمـعـلـومـاتـ وـالـمـحـفـوظـاتـ.

الثالثة عشرة: قبوله النقد البناء

فـلـاـ يـخـافـ النـقـدـ وـلـاـ يـهـابـهـ أـوـ يـفـقـدـ تـواـزـنـهـ أـمـامـهـ، فـاـنـ الـاـنـسـانـ لـاـ يـخـلوـ مـنـ الـخـطـأـ وـالـنـسـيـانـ، وـالـهـفـوةـ فـيـ الـكـلـامـ أـوـ الـمـحـفـوظـاتـ اوـ الـنـقـلـ، فـلـاـ بـدـ لـلـمـبـلـغـ الـخـطـيـبـ أـنـ يـعـتـرـفـ نـقـدـ الـآخـرـينـ بـمـنـزـلـةـ هـدـاـيـاهـ لـقـبـولـ مـحـاضـرـتـهـ وـخـطـابـاتـهـ، فـاـنـهـ يـدـلـ عـلـىـ إـسـتـمـاعـ خـطـبـهـ وـالـتـفـاعـلـ مـعـهـ، وـمـنـ ثـمـ الـدـقـةـ التـيـ دـعـتـهـ إـلـىـ النـقـدـ الـبـنـاءـ، وـقـدـ وـرـدـ فـيـ الـخـبـرـ الشـرـيفـ: (أـحـبـ إـخـوانـيـ مـنـ أـهـدـيـ إـلـىـ عـيـوبـيـ).^(١)

الرابعة عشرة: الناسية ولا الأمعية

أـيـ يـكـوـنـ مـنـ النـاسـ وـفـيـ النـاسـ إـلـىـ النـاسـ، مـنـ دـوـنـ إـنـ يـكـوـنـ إـمـعـيـاًـ، فـاـنـهـ وـرـدـ النـهـيـ عـنـهـ فـيـ الـخـبـرـ الشـرـيفـ: (لاـ تـكـنـ إـمـعـيـاًـ: تـقـولـ: أـنـاـ مـعـ النـاسـ) فـهـذـاـ مـقـوـلـةـ أـخـرـىـ فـاـنـ (ـالـأـمـعـيـةـ) يـمـعـنـيـ أـنـ الـخـطـيـبـ يـكـوـنـ تـابـعـاـ لـأـهـوـاءـ النـاسـ، فـهـذـاـ بـلـاشـكـ يـكـوـنـ مـذـمـوـمـاـ، وـهـذـاـ بـخـلـافـ

١. بـحـارـ الـانـوارـ: ٧٤ـ ٢٨٢ـ عـنـهـ (ـكـفتـارـ رـفـيعـيـ).

قليل لم يبلغوا المأة - كما ورد في الاخبار - وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ

قَوْمِي لَيْلًا وَنَهارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِرَارًا﴾^(١).

وفي بعض النقل دعاهم وكان عمره خمسون عاماً، وكانت دعوته خلال (٩٥٠) عاماً، ثم بعد كفرهم نزل العذاب عليهم بطفان، كما في القرآن الكريم.

فرب مبلغ وخطيب في بدو دخوله في مجتمع أو بلدة أو مدرسة أو محفل لا يستقبل كما هو المطلوب، بل ربما يهان ويستهزء، ويتمسخون منه، إلا أن المبلغ الناجح من يقاوم، ولا يترك الساحة من دون وعظ وإرشاد، بل يكابد ويتصارع ويتعجل على كل العقبات والحواجز والعوائق التي تنصب في طريقه، وتقف أمام مساره وتبلغه، وكم لنا من شواهد تاريخية من سلفنا الصالح يدل على هذا الأمر الخطير.

الثامنة عشرة: مراعاة الأدب

فإن زينة الإنسان ولا سيما المبلغ والخطيب أدبه الرفيع، وهو حسن الظاهر وظرافة الفعل في سلوكه وهندامه وأقواله وأفعاله، فلا يستعمل ما يشينه من الكلمات البذيئة والركيكة، وما فيها سوء الأدب واللأأخلاقية، قال رسول الله ﷺ: (إياك ان تتكلم بغیر

١. نوح: ٦ - ٥.

قبل الأقوال.

قال أمير المؤمنين على عليه السلام: (إذا كنت في بلدة فعاشر بآداب أربابها)^(٢).

السادسة عشرة: قوله الحق

بأن يقول الحق في موضعه ولو كان على نفسه، فلا يكتم الحق ويداهن بالحقيقة، كما لا يكتم العلم عن أهله، بل عليه أن يدافع عن الحق وأهله وعن الحقيقة الضائعة.

قال رسول الله ﷺ: (ولا تخف في الله لومة لائم)^(٣).

السابعة عشرة: تحمل المشاق والصعوبات

فإن الخطابة والتبلیغ طريق ذات الشوكة، وليس مفروشاً بالورود والرثيائح، فالتبليغ رسالة الانبياء والعظماء، رسالة الله والسماء في الأرض، فمن أراد أن يكون موفقاً وناجحاً، فإنه لا بد أن يتحمل المصاعب والمشاكل، ويقاوم ببسالة وصبر وحلم في مطبات الحياة ما يعترضه من الأهوال والمشاق.

ويكفيك شاهدأً نوح عليه السلام، فإنه بلغ وخطب وقام بالدعوة إلى الله الف سنة إلا خمسين عاماً، ليلاً ونهاراً، إلا أنه لم يؤمن من قومه إلا عدد

١. القرآن والتبلیغ: ١٢٨.

٢. تحف العقول: ٢٩.

يقتدون بعمله قبل قوله، فحضوره بالوقت المعلن، وإذا كان المفروض أن يتكلم ٤٥ دقيقة فلا يزيد عليها، بل يلتزم بالموعد والوقت وينظم أمره.

قال أمير المؤمنين على عليهما ولديه الحسن والحسين: (عليكم بتقوى الله ونظم أمركم).

وهذا يدل على أن نظم الامر من التقوى، وأن المتقيين هم الفائزون.

أدب^(١).

التاسعة عشرة: التواضع

فإن التواضع يوجب القرب من الله سبحانه وتعالى، ومن الناس ومن الجنة، وأنه حسن من كل أحد، فمن تواضع لله رفعه، إِلَّا أَنْهُ مِنَ الْخَطِيبِ أَحْسَنُ وَأَوْلَى، فانه بتواضعه لله عز وجل يصعد سلم المنبر، فيرفعه الله في قلوب الناس، كما يرفعه عند ملائكته، ودعى في السماء عظيمًا، فهو مرفوع الرأس والهامة، في الأرض وفي السماء، وفي الدنيا والآخرة، عند الناس وعند الملائكة وعند رب العالمين. والحذر الحذر من الكبر والغرور والأنانية وحب الذات والإفتخار بإقبال الناس أو بحسن كلامه وخطابه، فيتبخر في مشيه أو على منبره، وكم من غرور وكبراء أسقطت الخطيب من قلوب الناس وعيونهم، وأسكنته الدار طيلة حياته.

العشرون: ضبط الوقت

فإن المبلغ والخطيب قدوة الناس وأسوتهم، فإذا كان منظماً في أعماله، ضابطاً لمواعيده ووقته، فإنه يدل على إيمانه أولاً، فإن المؤمن إذا وعد وفي، والمنافق إذا وعد أخلف وإن صلى وصام - كما ورد في الاخبار - فمن كان ضابطاً للوقت والموعد كان الناس

١. اعلام الدين: ٢٧.

تحته. أو حشوّيات بلا عائدة، أو يتلاعب بالألفاظ ويطرح الموضوع الواحد بتعابير مختلفة، بل لابد من أشباع الاسماع وإروائها بما ينفعها من الطعام المعنوي والغذاء الروحي المتنوع والمفيد.

٣- لكل مقام مقال، فان الحديث مع طلاب المدرسة وفي الاصطفاف الصباحي يختلف من حيث الزمان والمكان والحال والحضور وطرح الموضوع المناسب، عن المجالس العامة التي يحضرها جمع غفير من طبقات المجتمع المختلفة، كما إنّ الحديث مع الشباب كزرع الأمل للمستقبل في نفوسهم. يختلف مع الكهول، فان حديثهم سيكون عن التوبة والاستغفار والاستعداد للموت وما بعد الموت.

ثم عصرنا هذا كما يقال في الاطعمة عصر السنديوיש والأكل على الماشي، وخلال دقائق، لكثرة الاعمال والأشغال، وكذلك الأمر في طعامه الروحي، فالمحرر أن يلاحظ عصر السرعة، فالخطيب الناجح من يستطيع أن يطرح موضوعه خلال خمس دقائق. ويقتضي ثمار نصائحه ومواعظه، ثم يتسع في الموضوع إلى خمسين دقيقة. ان كانت الأجواء ملائمة وتتطلب ذلك.

٤- إنّ لكل جديد لذّة، فلابد من جديد في المنابر والخطب، ولا يكتفى بتكرار المكرّرات والمحفوظات، فإنه مما يملّ منه المستمع،

نقاط هامة تنفع الخطيب والمبلغ

من خلال تجارب الخطباء والمبليين نقف على نقاط هامة تنفع الخطيب والمبلغ في أداء رسالته، وفي مجال الخطابة والتبلیغ، وهي كما يلي:

١- لا يكتفي الخطيب وكذلك المبلغ والمحاضر الإسلامي بنقل الآيات القرآنية والاحاديث الشرفية وحسب من دون تجزئة وتحليل وإستخراج مفاهيم جديدة تتناسب مع الموضوع المطروح والمبحث عنه، وليس عليه أن يكثّر من العناوين والمواضيع ويطير من شجرة إلى آخر أو غصن إلى آخر، بل يأخذ موضوعاً واحداً مثلاً ويعطي حقه بما يحتاجه من شرح وبيان، وتفسير وتأويل، وشواهد قرآنية ورواية، وقصص وحكايات وأشعار وتاريخ وأدب وغير ذلك.

٢- أن لا يكون الكلام والحديث قليل المحتوى أو عديم الفائدة أو ضعيف المعزى، ويحاول أن يقتل الوقت بكلام فارغ، بلا طائل

الأبواب أو النقاط أو المحاور أو ما شابه ذلك، فان الموضوع كالإنسان الكامل في هندسة أعظائه وجوارحه وهيكله الظاهري، وماورائه من المحتوى والأعضاء الباطنية المسممة بالجوانح، وهذا ما أشرنا اليه تكراراً لأهميته.

٨- أن يكون طرح الموضوع متناسباً مع الجمهور المستمع له، فإن الحديث مع طلاب المدارس الابتدائية يختلف مع طلاب الجامعات والكليات، وإن الحديث في القرية يختلف عن الحديث في المدينة، فهل يطرح موضوع البداء والقضاء والقدر والبحوث العميقية في العائد في مثل القرى والارياف وللأميين؟! هذا ما يدل على جنون الخطيب، فان العاقل الذي يضع الاشياء في مواضعها، وكذلك الحكيم والعادل - كما مر -.

ونصيحتي للخطباء إن دخلوا المدينة أو القرية أن يدخلوا أولاً في وسط الناس، في أسواقهم وشوارعهم وأرزقهم وحوانيتهم وما شابه ذلك، ليعرف ما يحتاجه الناس إليه من الموعظة والارشاد، فإذا كان المجتمع قد ابتلى بالتطفيف (وويل للمطففين) أو الاسراف والتبذير، فلا بد أن يكون حديثه حول مساوئ ومضار وحرمة ذلك، ومحاسن الحياة المعقولة والمعتدلة التي يسودها الالتزام الديني من دون تبذير وإسراف.

إذا كان جمع من حفظة القرآن وأراد ان يتحدث لهم، فلا يحسن منه

وي فقد الخطيب جمهوره الواسع.

٥- على الخطيب الناجح أن يطالع الموضوع الذي يطرحه من كل جوانبه، وبكل دقة وسعة، فيفرض دائماً أن حضوره فيه مرجع التقليد وفيهم الأمي الذين لا يقراء ولا يكتب، فلا بد أن يعطي كل واحد حقه، وهذا يتطلب منه سعة المطالعة والدقة، ولا تقل عن خمس ساعات وما زاد، ثم ينظم الموضوع بترتيب منطقي من التصورات أولاً، ثم التصدیقات، فيتسلسل بتسلسل منطقي وطبعي بين المبدء والمنتهي، وما بينهما من المقدمات والنتائج.

٦- إن رسالة المنبر تتمحض وتتحول في إرادة الموضوعات والمطالب التحقيقية والعلمية والعملية، والمستندة الصحيحة. بلغة يفهمها الجميع، فان الخطابة فن الاقناع، وفن الخطيب أن يلقي أعمق المطالب وأدقها بأسهل وأبسط لغة فقلب قوى نابض في قالب متناسق ورائع وجميل، إن الخطيب هو القاسم الشترک بين العالم والفنان، فإنه يجمع بين العلم والفن.

٧- التنسيق والتنظيم في إرادة المطالب، بلا فوضوية في طرح الموضوع، وأن يتجنّب عدم الانسجام وعدم التطابق بين العنوان والعنون، وعدم التالف بين أجزاء البحث.

إن الخطيب كالمدرس، فلا بد له من تعين الدرس أولاً، ثم بيان المبدء والمنتهي، وما بينهما من الفروع وهو الاقسام أو الفصول أو

أو أنه يتحدث عن دعاء وآثاره وبركاته في الدنيا والآخرة، ولكن في آخر كلامه يقول: ولكن حفقت سنته فوجده ضعيفاً. فلابد من ملاحظة الأجواء والحضور وما يطرح فيه.

١٠ - الجامعية في طرح الموضوع، فإذا كان يتحدث عن بــ الوالدين وحقوقهما، فالافتراض أيضاً أن يتحدث وفي نفس المجلس والمنبر عن وظائف الآبوبين إتجاه أولادهما، وإنـه على الوالد أن يكرم أولاده.

وإذا تحدث عن حقوق الزوجة فالافتراض أن يتحدث عن حقوق الزوج كذلك. وإذا تحدث عن الزهد وفوائده فالافتراض أن يتحدث كذلك عن نعم الله في الحياة وكيف ينتفع منها في سبيل آخرته، فالدنيا إن كانت لها مساوىء، فكذلك لها محسن، فلابد من الإشارة إلى كليهما حتى لا يقع السامع والمخاطب في وادي الإفراط والتفريط، بل يأخذ بالفضيلة والحد المعتدل والمتوسط في كل شيء.

١١ - إنـ ثمرة المحاضرات والتبلیغ لا تكون سريعة الحصول والقطف، بل تحتاج إلى زمن طويل، وربما لسنین، فلا يأس الخطيب أو المبلغ والمحاضر الإسلامي في أداء مسؤوليته، بل حتى ولو أستهزء به أو حورب أو واجه خطأً معارضـاً، فعليه أن يقاوم ويصبر حتى يحصل على الثمرة، وينال أجر زحماته وجهاده ونضالـه.

أن يتحدث عن إستحبـاب تعليم القرآن وحفظـه، فإنه تحصـيل حاصلـ، بل يتحدث لهم كيف يحافظـون على حفظه في الظاهر والباطـن، ولا يكونـا مـتن يصدقـ عليهم (رب تـال للقرآن والقرآن يـلعنهـ)، وهذا يـرجع أيضاً إلى الحـكمة المعروـفة، لكلـ مقـامـ مـقالـ.

٩ - من مخـاطـراتـ ومـحـذـورـاتـ المنـبرـ أنـ يـلقـيـ الخطـيـبـ الشـبـهـةـ منـ دونـ جـوابـهاـ، أوـ يـدعـ الجـوابـ لـوقـتـ آـخـرـ، أوـ أنـ يـشـيعـ الشـبـهـةـ منـ الـبـحـثـ وـلـكـنـ الجـوابـ يـكونـ كالـبـرقـ الـخـاطـفـ، مماـ يـوجـبـ تـحـكـيمـ الشـبـهـةـ فيـ ذـهـنـ المـخـاطـيـنـ، فـلاـ يـحـسـنـ منـ الخطـيـبـ الفـاهـمـ وـالـعـارـفـ أنـ يـشـيرـ الشـبـهـاتـ، أوـ أنـ يـنـقلـهاـ لـيـداـفـعـ عـنـهاـ، إـلـاـ أـنـهـ يـتـهـاـونـ عـنـ جـوابـهاـ، فـانـهـ لـيـحـسـنـ طـرـحـ الشـكـوكـ وـالـشـبـهـاتـ إـلـاـ معـ الـإـرـائـةـ الصـحـيـحةـ وـالـمـفـصـلـةـ وـالـتـامـةـ فيـ الجـوابـ، بلـ يـطـرـحـ الجـوابـ اـولـاـ، ثمـ يـطـرـحـ الشـبـهـةـ حتـىـ يـكـونـ المـخـاطـبـ قدـ تـسـلـحـ منـ قـبـلـ فـيـ دـفـعـهاـ وـرـدـهاـ منـ تـلـقـاءـ نـفـسـهـ.

وـكمـ منـ شـبـهـةـ أـفـسـدـتـ الـكـلـامـ بـتـامـاهـ، مـثـلاًـ يـمدـحـ شـخـصـيـةـ إـجـتمـاعـيـةـ غـايـةـ المـدـحـ، وـفيـ آـخـرـ كـلـامـهـ يـقـولـ سـمعـتـ أـنـهـ يـشـاعـ عـنـهـ بـاـنـهـ بـعـثـيـ وـيـنـتـمـيـ إـلـىـ الحـزـبـ، وـلـكـنـ حـقـقـتـ ذـلـكـ فـوـجـدـهـ لـيـسـ كـذـلـكـ، فـمـثـلـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ تـشـيرـ بـيـنـ النـاسـ التـسـاؤـلـاتـ، وـرـبـماـ يـسـتـقـبـلـهاـ الـحـضـورـ وـيـتـفـاعـلـ مـعـهـاـ مـنـ دـونـ أـنـ يـتـذـكـرـ الـمـدـحـ وـالـثـنـاءـ، فـبـهـذـهـ الـكـلـمـةـ (ـسـمعـتـ أـنـهـ يـقـالـ)ـ هـدـمـتـ مـاـ بـنـيـةـ مـاـ بـنـيـةـ الـأـطـرـاءـ وـالـثـنـاءـ.

١٤ - لا يضع الخطيب دائمًا يده على نقاط الضعف في المجتمع، ويتكلّم بلغة سلبية و MAVOSSE، كان يقول: إن شبابنا في يومنا هذا لا يصلون ولا يصومون، إن شبابنا اليوم يسهرون الليل على التلفاز والفضائيات من مشاهدة أفلام خلاعية، والأغاني ومطربات وراقصات... وهكذا، بل المفروض أن يشير إلى نقاط القوة أيضًا، كأن يقول: (إن شبابنا اليوم عندهم الفطرة السليمة والموحدة سر عان ما يرجعون إلى ربهم تائبين نادمين).
وما أروع ما ي قوله الإمام السجاد عليه السلام: (اللهم وفقنى لإنشاء العارفة وستر العائبة).

فال明珠 والخطيب الناجح من يتكلّم بلغة نشر العوارف والمعروف، وستر العوائب في المجتمع.

١٥ - على الخطيب أن يراعي في تقسيم الشخصيات العلمية أو الاجتماعية الحاضرة في مجلسه، وإعطاء الألقاب والاصفات المعروفة بين الناس كآية الله وحجّة الإسلام والمسلمين، والاستاذ الدكتور وما شابه ذلك، فإن لم يدر، فإنه يكتفي أن يكتفى بالألقاب العامة، كان يقول: (ونشكر الشخصيات المحترمة التي حضرت مجلسنا هذا، وجزاهم الله خيرًا).

١٦ - في نقل حادثة أو واقعة أو قصة وحكاية وحتى في الفكاهيات واللطائف، عليه أن يتحرّى مما يشين بسمعة قوم أو قبيلة أو بلدة مما

١٢ - على الخطيب أن يطرح مواضيع قد إستوعبها تماماً، وإلا فان المخاطب سيقع في دوامة من الأفكار المتهافة والمتشتتة، فان من أراد أن يثبت التوحيد ببراهين فلسفية كالعلة والمعلول، وتقسيم مفهوم الوجود إلى واجب وممكن وممتنع، لمجتمع بدائي وقروي من الزارعين وال فلاحين، فإنه يهدم أكثر مما يعمر، بل يكون بليغاً متأسياً ببلاغة القرآن الكريم، فإنه لأولئك الذين يكونون من الجمال في رح لهم وترح لهم يدعوه إلى التوحيد بقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(١).

١٣ - لا تطرح المواضيع التخصصية على المنبر العام، وإذا إقتضى الأمر في طرحها، فلا بد من تسليط الضوء عليها، وتحليلها تحليلًا كاملاً، حتى لا تبقى شبهة أو معضلة عالقة في ذهن السامع، ولا يكون كالخطيب الذي كان يتحدث عن الرياء، ثم قال عابراً (لا يحرم الرياء في التوصل إنما يحرم في الأمور التعبدية) فسأل أحد الحضور هل سماحة الشيخ يقول: (لا يحرم الرياء في دعاء التوسل) لانه لم يعرف من قبل معنى الأمر التوصلي والتعبدي والفرق بينهما، بل تبادر إلى ذهنه ما كان مأносًا به وهو «دعاء التوسل».

١٨ - أن يحترز من النقد الشخصي على المنبر أو نقد حزب خاص أو مؤسسة وجماعة خاصة، بل عليه أن يطرح نقهء بلغة عامة، فلا يقال: الأطباء يجحفون بحق المرضى، بل يستعمل الاسلوب النبوى في تربية الناس ووعظهم قال ﷺ: (ما بال أقوام يصنعون كذا ويقولون كذا، فكان ينهى عنه ولا يسمى فاعله)^(١).

١٩ - أن يجتنب الكلمة المتكررة المعتمدة عليها مما يوجب الملل، كان يقول بين جملة وجملة أخرى (ماذا) (شنو) (فهمت فهمت) وما شابه ذلك.

٢٠ - أن يتبعد عمّا يوجب تشويش ذهن السامع والمخاطب كان يلبس ملابس تثير الانتباه، بان يجعل الطرف المقابل يتوجه إلى ملابسه أكثر مما يتوجه إلى كلامه وحديثه.

٢١ - أن يتحاشى مما يوجب الاعتذار، فان المؤمن قليل زلته، وقليل الاعتذار، ولا يصغّر نفسه بما يشينها في حركاته وكلامه (إياك وما يعتذر منه فان المؤمن لا يسىء ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسىء ويعتذر)^(٢).

٢٢ - اذا كانت الخطابة في المسجد، وكان للمسجد امام جماعة وهو

يحرّك عواطف وأحساس الآخرين حتى ينقلب الامر عليه، كان يقول الخطيب في قصة شهادة جون ودعاء الامام الحسين عليهما السلام في يوم عاشوراء (اللهم بيض وجه) فيقولها بنحو يشعر المشاركون في الأسود مثلاً، أن سواد الوجه نقص له، بل لا بد أن يطرحه بنحو يعرف الحضور ان المقصود من بياض الوجه بياض الآخرة. كما يقال في دعاء الوضوء (اللهم بيض وجهي يوم تسود الوجوه) فإنّه يقولها الابيض والاسود في الدنيا، فلا يعني بياض الوجه يدل على جمال أو كمال، بل بلال الحبشي أجمل وأكمـل من كل أبيض من الكفار والمشركين.

أو يطرح بعض الفكاهيات التي تتعلق بإقليم أو منطقة أو مدينة مما يجب جرح مشاعر الآخرين.

١٧ - إن المزاح - كما يقال - كالملح في الطعام، فان زاد فقد أفسده، فالافتراض من الخطيب إذا اقتضت الضرورة لترويح النفوس أن يتمازح بما فيه الحكمـة والسرور، فلا يسرف في مزاحه أو يتعدى حدوده.

قال أمير المؤمنين علي عليهما السلام: (إياك ومستهجن الكلام فانه يوغر القلوب)^(١). أي يشعل الفتنة والحمية في القلوب.

١. كحل البصر: ٦٦ عنه «كتاب رفيعي».

٢. تحف العقول: ٢٧٩.

١. الغرر: ٢٦٧٤.

٢٧ - لا يتزدّد في منقولاته فيما كان ترجع إلى معلوماته، كأن يقول (لا أدرى صفة عمة النبي أو خالتة) فهذا يرجع إلى جهل الخطيب لا التردّد في التاريخ، لانه من المعلوم أنَّ صفة عمة النبي ﷺ.

٢٨ - لابد من مراعاة الحدود في بيان القيم والمحاسن والمساوئ، فإذا تحدّث الخطيب عن رذيلة الكبر مثلاً، فلابد أن يميزه عن عزة النفس، ويحدّد حدودهما لقربهما في المفهوم والمصداقية، فلو لا ذلك فربما يشتبه الأمر فلا يدري يأتي به هل من عزة نفسه أو من الكبير والتکبر، وكذلك في مثل الصبر والخنوع، والاسراف والسخاء، والقناعة والبخل، والتوكّل والتواكل، فهذه مفاهيم قريبة التلاقي، بل كثير من الناس، بل وحتى العلماء من يلتبس عليه الامر، فلابد من دقة وحساسية في طرح مثل هذه الموضوعات، لاسيما في الأخلاقيات.

٢٩ - لابد من ملاحظة كل الأطراف في الموضوع المطروح على طاولة البحث ومن خلال المنبر، فلا يصب كلامه في مصب واحد، كان يذكر العذاب الإلهي مثلاً، أو الرحمة الإلهية وحسب، بل يأخذ من هذا وهذا، ولا يكون الخطيب الفقيه والفاهم فقيهاً، حتى يجعل الناس بين الخوف والرجاء، من دون إفراط وتفريط، آخذًا بالوسطية والفضيلة.

في المجلس، فالافتراض أن يذكره بأدب وبشكل حضوره.

٢٣ - أن يراعي المناسبات الزمانية والمكانية، فإذا كان عند قبور الشهداء مثلاً والمجلس منعقد لتكرير شهيد فالافتراض أن يتحدث عن الشهادة ومقامها الشامخ في الدنيا والآخرة، لا أن يتحدث عن شكيّات الصلاة، وإذا كان في مجلس فرح وسرور، لا يُتغّص المجلس بذكر الموت والآموات وأهوال يوم القيمة، فإنّ لكل مقال مقالاً - كما مرّ -.

٢٤ - أن يتلفظ بإسماء الأعلام والكتب صحيحاً، فإنه سرعان ما يحكم عليه الحضور بالأمية، فلا يكون كالخطيب الذي يذكر كتاب (مروج الذهب) ولمرات عديدة (مروج الذهب) مع التشديد، وكم فرق بين المعنين، كما لا بد من ضبط الآيات الكريمة والروايات الشريفة بان يتلفظ بها صحيحاً، كما يعرف الفاعل من المفعول، وإلا فإنه تغيير المعاني عنده.

٢٥ - لا يعتمد في نقل الواقع على مسموعاته، ومنقولاته، وإن كان الناقل ممن يعتمد عليها، بل عليه أن يراجع المصادر والمراجع الأولى. ليتأكد في النقل، وينقل المصدر.

٢٦ - إن لم يضبط تلفظ الكلمات الأجنبية، فالافتراض أن يضبطها وإنّما فيحترز منها، فإنّها توجب وهن الخطيب عند الطبقة المثقفة، أو توجب إحتقاره، بل حتى مطالبه العلمية تكون تحت الشعاع.

للخطيب الحسيني صوت جميل يتلائم مع عرض المصيبة، وأن يراعى الأطوار المألوفة عند الجمهور بما يتناسب المقام، وإن لم يتمكن من ذلك فليذكر المقتول بدموعه الساكة وصوته الحزين.

٣٤ - لما كانت المجالس الحسينية العامة يحضرها الكبير والصغرى والرجل والمرأة، والعالم والعامي، والغني الفقير، وغيرهم، فلابد للخطيب المبلغ أن يلاحظ مستوى الحضور وإختلاف طبقاتهم، ويتكلم على مقدار عقولهم ومستوياتهم، بحيث يخرج كل واحد من المحفل وهو منتفع من منبره ومجلسه.

٣٥ - لا يعتمد في نقل الآيات والروايات على حافظته وذاكرته وحسب، بل عليه المراجعة قبل صعوده المنبر.

٣٦ - ربما يبادر بعض الحضور بفعل يهز هز وقار المجلس وهدوء، كان يوزع الشاي أو الماء أو الحلويات أو ما شابه ذلك، فالافتراض على الخطيب أن لا يخاطبه أمام الجمهور، ومن على المنبر، وينفعه عن ذلك، وربما بغضب أو دونه، فإن ذلك مما يجرح عواطفه ومشاعر الآخرين ويوجب الإساءة بالخطيب، بل عليه أن يطلب ممن هو قريب منه، أو يذكره، أو يصلّى على محمد وآلـهـ، أو يطلب من الجماهير أن تصلى على النبي ﷺ، وهذا من باب (الكنية أبلغ من التصريح).

٣٧ - لابد للخطيب الفاهم والفقير أن يلاحظ فهم الحاضرين

قال أمير المؤمنين علیه السلام: (الافراط في الملامة يشب نار اللجاجة) ^(١).
٣٠ - من الضروريات في المنبر والمنبري أن يراعى مستوى ثقافة المستمعين وخلفيتهم العلمية والعملية، فإن الحديث مع طلبة العلم يختلف عن الحديث مع التجار والكسبة، فلكل مقام مقال، كما أشرنا تكراراً ومراراً لأهمية الملاحظة.

٣١ - لابد من مراعاة الأدب في ذكر أسماء الأعلام والشخصيات، وإن كان عليه أو على بعض آرائه أو معتقداته أو تصرفاته وأفعاله وأقواله ملاحظات، فهذا لا يعني أن يسىء بذكر إسمه، كان يقول (قال فلان الحمار).

٣٢ - على الخطيب الناجح والمزدهر بالنور الباهر، أن تكون مطالعاته حول الموضوع المطروح وسيرة ودقة وعمقـةـ، فلا يكتفي بالمطالعة بمقدار مستوى الحاضرين، وإن كان لغة الموضوع المطروح بلغتهم القرويين والحضريين. فيطرح موضوعاً علمياً بلغة سهلة يفهمه القروي، وعند نقله إلى غيره ربما ينقله إلى من هو أعلم منه، ورب حامل فقه إلى من هو أقله منه، فينتفع غير الحاضر في المجلس من خلال نقل محتوى الخطابة إلى الغير.

٣٣ - في ذكر المصيبة في المآتم الحسينية، المفروض أن يكون

النفوس، والخطبة التي تهزّ المشاعر من الداخل، خطبة أمير المؤمنين عليهما السلام لهمام المعروفة بخطبة المتقين في وصفهم، وما أن تمت الخطبة إلا وفارق همام الحياة، فقال أمير المؤمنين عليهما السلام: (هكذا تصنع المواقع البالغة باهلها) ^(١).

وحيثما كان يتحدث النبي الأكرم محمد عليهما السلام مع أصحابه كانت الدموع تجري على وجنتهم، ويتوبون إلى الله، ويستاقون إلى الله وإلى الشهادة في سبيله، من أجل إعلاء كلمته.

إن أكثر الناس يأخذون دينهم ومعارفهم من العلماء الإعلام، ومن المنابر الكريمة والمباركة، ولا سيما المنابر الحسينية، وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إن سلاح الكلام والكلمة لأنفذ من السيف البatar...
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ^(٢).

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣ عنه «كتاب رفيعي».

٢. كتبت هذه الرسالة في القطار عند رجوعنا مع موكب أهالي الكاظمية في طهران من مشهد المقدس من زيارة الأربعين الحسيني (٢٠ صفر) سنة ١٤٣١، واقتبسها من كتاب «كتاب رفيعي» (من صفحة ١٠ إلى ٣٤) للدكتور الخطيب الشيخ ناصر الرفيعي المحمدي دام عزه، ثم أضفت عليها ما اقتبسه أيضاً من حوار مع الخطيب البارع الشيخ حسين انصاريان دام مجده من مجلة (الحوza) (العدد: ١٥٢ السنة ١٤٣١) وكلاهما باللغة لـ

وإتياعهم في ملاحظة منقولاته وقصصه، فمثلاً إذا ذكر حياة العالم الرباني ملا أحمد النراقي صاحب جامع السعادات، وإنه لم يقراء الرسائل التي كانت تأتي من بلده ويدعوها تحت الفراش ولسنين، وبعد ذلك لما فتحها، فوجد فيها ما تخبر عن وفاة أقربائه، وإنما فعل ذلك حتى لا يشغله عن الدرس، فإنه ربما يتبدّل إلى ذهن السامع، فأين صلة الأرحام، وأين رعاية الحقوق الاجتماعية، وأين الآداب الإسلامية في ردّ جواب الرسائل وغير ذلك من الشبهات، فلا بد من التوضيح أولاً وسدّ الثغرات، ثم نقل القصة بما يتناسب المقام.

٣٨ - لا يعتمد الخطيب على مكتوباته، بل يكتب الخطبة كلها ويقرءها على الجمهور كما يفعله خطباء الجمعة في الأوقاف السنّية، بل عليه أن يكتب رؤوس أقاليم، ثم يشرح بما عنده من المحفوظات والمستجدات.

٣٩ - من المأثور في عصرنا هذا في المنابر الشيعية أن يضم المنيب على آية أو روایة تكون بمنزلة المحور في الخطابة، ثم مقدمة قصيرة، ثم تفسير وشرح ثم ذكر المصيبة، وأما المحاضرة الإسلامية فكذلك تختتم بال المصيبة وذكر الإمام الحسين عليهما السلام عليه، فإن ذكر الإمام الحسين عليهما السلام ملح المحاضرات الإسلامية، وهو المختار.

٤٠ - وأخيراً وليس بآخر خير مثال للموعظة الناجحة والمؤثرة في

البلاغة، ومجامع الحكم، وإنها ممّا تفاخرت العرب بها كالشعر في مشاهدهم ومحافلهم التامة والخاصة، وبها نطقـت الخلفاء والامراء على منابرـهم، فكان للعرب إعتنـائهم بالخطابة أكثر من إعتنـائهم بالشعر والشاعر.

وقد كثـر عدد الخطباء في العصر الجاهلي وقبل الاسلام وتعـدـت طوائفـهم، وإختلفـت مذاهـبـهم ومسارـبـهم الفكرـية في كيفية أداء الخطابة، حتى كان لكل قبيلـة من قبائلـهم خطيبـاً كما كان لكل قبيلـة شاعـرـ.

كما إنتـشر في الاسلام ايضاً الخطابة إنتـشاراً واسعاً تـأيـيداً للـدـعـوة الاسلامـية العـظـمى، فـإـتـخـذـتـ الخطـابـةـ حينـئـذـ ثـوبـاًـ جـديـداًـ غـيرـ النـيـ كانتـ عـلـيـهاـ فيـ أـيـامـ الـجـاهـلـىـ، فـكـانـتـ لـغـتهاـ أـرـقـىـ وـأـدـقـ وـأـعـلـىـ إـلـىـ درـجـةـ لمـ يـسـبـقـ بـهـاـ عـهـدـ لـإـنـصـرافـ العـرـبـ عنـ الشـعـرـ الـيـهـ، وـإـعـتـمـادـهـمـ فيـ الدـيـنـ وـالـسـيـاسـةـ عـلـيـهـاـ.

وـكـانـتـ الشـعـوبـ كـافـةـ وـلـاـ يـزالـ تـفـتـخـرـ بـخـطـبـاتـهـ وـتـحـفـظـ لـهـمـ مـكـانـتـهـمـ وـمـقـامـهـمـ وـكـرـامـةـ تـلـيقـ بـهـذـاـ المـنـصـبـ الـجـلـيلـ. وـحـسـبـكـ منـ فـضـلـ الخطـابـةـ أـنـهـ الـوـسـيـلـةـ التـيـ إـتـخـذـهـ الـأـنـبـيـاءـ لـتـبـلـيـغـ الرـسـالـةـ، وـيـكـفـيـكـ مـنـهـ أـنـهـ الـذـرـيـعـةـ الـكـبـرـىـ التـيـ يـتـمـكـنـ مـنـ خـلـالـهـ التـأـثـيرـ عـلـىـ النـفـوسـ، وـقـلـبـ قـلـوبـ الـعـامـةـ وـالـخـاصـةـ، حـتـىـ يـكـونـ الـخـطـيـبـ بـمـنـزـلـةـ الـمـحـورـ الـأـسـاسـيـ فـيـ الـأـمـةـ، وـعـلـيـهـ قـوـامـ نـظـامـ الـمـجـتمـعـ، وـمـدارـ مـسـيـرةـ

في رحاب الخطباء والخطباء

الـخـطـبـ: جـمـعـ خـطـبـةـ بـالـضمـ، وـمـنـهـ الـخـطـبـةـ. وـتـرـدـ الـخـطـبـةـ بـالـضمـ تـارـةـ وـهـىـ تـخـصـ بـالـمـوـعـظـةـ وـالـكـلـامـ الـمـخـطـوبـ بـهـ، وـيـتـعـدـ بـنـفـسـهـ، فـيـقـالـ خـطـبـنـاـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـيـ وـعـظـنـاـ، وـأـخـرىـ تـرـدـ بـالـكـسـرـ -ـ أـىـ كـسـرـ الـخـاءـ الـمـعـجمـةـ -ـ وـهـىـ خـطـبـةـ النـسـاءـ مـنـ قـبـلـ الرـجـلـ.

وـالـخـطـابـةـ مـنـ أـفـضـلـ الـأـدـوـاتـ وـالـآـلـيـاتـ التـيـ يـتـمـكـنـ بـهـاـ الـمـرـءـ مـنـ إـسـطـلـاعـ النـاسـ عـلـىـ الـعـلـومـ وـالـفـنـونـ. وـتـقـيـيفـهـمـ، وـتـقـوـيـمـ أـوـدـهـمـ، فـهـىـ مـنـ أـتـمـ الـوـسـائـطـ وـالـإـعـلـامـ فـيـ نـشـرـ الـدـعـوةـ، وـتـبـلـيـغـ الـحـجـةـ، وـتـعـمـيمـ الـمـوـعـظـةـ الـحـسـنةـ، وـالـحـكـمـةـ الـبـلـيـغـةـ وـالـمـتـعـالـيـةـ.

ثـمـ تـارـيـخـ الـخـطـابـةـ يـرـجـعـ إـلـىـ أـقـدـمـ الـعـصـورـ، فـانـهـاـ كـالـشـعـرـ مـنـ أـقـدـمـ الـآـنـارـ الـأـدـيـبـةـ عـهـدـاًـ، وـإـنـهـاـ أـجـلـ مـنـ الشـعـرـ وـأـقـوىـ أـثـرـاًـ، لـأـنـهـاـ فـنـ الـاقـنـاعـ وـالـتـأـثـيرـ فـيـ الـنـفـوسـ الـجـمـاهـيرـيـةـ، وـهـىـ مـنـ مـسـتـوـدـعـاتـ سـرـ

اعتدالها.

إن المشاهدات الحسية والآثار برهنت على أن الخطباء في كل الأدوار هم قادة الحركة الفكرية العامة للتطور الاجتماعي الإنساني العام. وهم الذين عليهم المعمول في تهذيب الأخلاق، وتكامل النفوس، ولم الشُّعْت، والأخذ بيد الأمة إلى مستوى الرقي والعمان. الخطباء رسل يحملون إلى البشر الحياة الأبدية، والنعمنة الخالدة والسعادة الدائمة.

الخطباء هم الذين شقوا للأمم طرقاً واضحة من طرق الحياة، كثيرة الشعب والمسالك، فإذا يمكننا أن نقول ولأنخش واهماً ينazuنا فيما نقول: إن الخطباء والخطابة والمنابر مدارس الأمة، ومحال نزول الرحمة، وموارد الهدایة الإلهية، بهم يهتدى إلى الاصلاح والصلاح، ومن معارفهم تعرف طرق الخير والنجاح...

والحق إن الخطابة من أعظم الالات السياسية والدينية العلمية، فأنها الواسطة للتأثير في العقول والقلوب، فكانها سوط يساو به إلى الأعمال، أو قيد يقيّد به الناس عنها، ولها في الأديان والسياسة حوادث ذات أهمية، جاءت بإنقلابات عظيمة، وتغيرت بها أحوال كثيرة.

ولعلك من هنا تجد رجالات العلم يعبرون عن أهلها (بأدمعة العلماء) مرة، أي الخطيب دماغ العالم المفكر، و(رجال الانقلاب)

تارة أخرى، و(السنة الشرع الناطقة) طوراً آخر. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عظمـة الخطابة والخطباء، ودور المنابر في المجتمعات، فانها رسول التبشير ودعاة الاصلاح والصلاح^(١).

١. إقتباس من كتاب (خطباء المنبر الحسيني) بقلم: الشيخ حيدر صالح الجرجاني ومقدمة السيد حسن القبانجي.

- ٩ - الخطب المنبرية في المناسبات العصرية: صالح بن فوزان
- ١٠ - درر الخطب المنبرية: سليمان بن محمد
- ١١ - الديوان الاول عن داودين الخطب المنبرية: محمد زكي الدين
- ١٢ - رسالة المنبر إلى الشرق العربي: فارسي
- ١٣ - صرخات على المنبر: أحمد الشهاوي
- ١٤ - على المنبر: نقولا الفياضي
- ١٥ - الكبريت الاحمر في شرائط المنبر محمد باقر آيتی (فارسي)
- ١٦ - لسان المنبر: محمود الطيرة
- ١٧ - الموعظة الحسنة بما يخطب في الشهور السنة: محمد صديق القنوجي
- ١٨ - ديوان الخطب العصرية المنبرية في الوعظ: عبد الرحمن الكمالی
- ١٩ - دور المنبر الحسيني في التوعية الاسلامية: محمد باقر المقدسي
- ٢٠ - من وحي المنبر الحسيني: محمد سعيد الفاضلي
- ٢١ - تلاميذ المسيح على منبر الاسلام: حسين شمس الدين
- ٢٢ - إرشاد القلوب في الموعظ والحكم: حسن بن علي الديلمي
- ٢٣ - أطواف الذهب في الموعظ والخطب: محمود بن عمر الزمخشري
- ٢٤ - بستان الوعاظين ورياض السامعين: ابن الجوزي

جملة من الكتب في المنبر والخطب

هذه مجموعة من الكتب التي راجعتها في المكتبة العامة لسيدنا الاستاذ آية الله العظمى السيد النجفي المرعشى لهم阿مين، بقم المقدسة وباللغتين العربية والفارسية:

- ١ - تلخيص الخطابة: محمد بن احمد (ابن رشد)
- ٢ - الخطابة تاريخها قواعدها آدابها: حسين بن محمد جمعة
- ٣ - مرآة الرشد بن على الرفاعي
- ٤ - نهج الخطابة: الرسول الاعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- ٥ - نهج الخطابة في خطب أئمة الهدى: الشريف المرتضى علم الهدى
- ٦ - الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية: محمد على قسام
- ٧ - خطباء المنبر الحسيني: حيدر صالح
- ٨ - الخطب المنبرية في الجمع والاعياد والكسوف: سيد محمد الرهوني

(دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية). وهو رسالة دكتوراه، فوجدها من الكتب النافعة والمفيدة في هذا الباب، وقد أجاد في جمع الشوارد، وضبط الفوائد، فجزاه الله عن المنبر والخطيب والامة الاسلامية خير الجزاء، وأدعوا الأحبة إلى قراءة هذا السفر الكريم، ومن الله التوفيق والتسديد. هذا غيض من فيض، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطاهرين.

- ٢٥ - تحفة الخطيب: عبد الله المولود
- ٢٦ - التذكرة في الوعظ: ابن الجوزى
- ٢٧ - ديوان الجوادر المرصعة في الخطب المنوعة: عبد الرحمن الكمالى
- ٢٨ - الحديقة الناشرية في الموعظ الدينية والأخلاقية: محمد حسين الجزائري
- ٢٩ - الخطب والموعظ: جمع من العلماء
- ٣٠ - روضة الوعاظين: فتال النيسابوري
- ٣١ - روض الفائق في الموعظ والرقائق: سعيب بن سعد
- ٣٢ - عضة الناشئين: مصطفى سليم
- ٣٣ - فن الخطابة وإعداد الخطيب: على محفوظ
- ٣٤ - جزئية الجوادر في زينة المنابر: على أكبر النهاوندي (عربي فارسي)
- ٣٥ - منهاج الهدایة الاسلامیة: محمد إسلامی التونسی
- ٣٦ - الموعظ والآداب: عبد الحسين الوعظ
- ٣٧ - عین الادب والسياسة: ابن هذیل
- ٣٨ - روضة العقلاء ونرفة الفضلاء: محمد بن حبان تنویه: بعد أن أعددت الرسالة وأكملتها وقع بيدي كتاب سماحة الخطيب البارع الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي دام عزّه بعنوان:

ويحارب، ويحاول أن يطفئ نور الله بأبوابه الإعلامية وأفواهه المقيمة. ولكن أبي الله إلا أن يتم نوره، وفي عصرنا هذا شاء الله سبحانه أن يكون لمذهب أهل البيت إعلامهم بكل ما للإعلام من مصداقية و موضوعية من مرئي و مسموع وممروء، وفي كل المجالات الفكرية والثقافية والعلمية والتربوية والفنية، وإن كانت في بدايتها وفي أول الطريق، وإنها محاربة بكل ما للعدو من سلاح المال والإعلام والسياسة والاستعمار والاستكبار، إلا أنها بروح المقاومة والصمود تقف كالجبل الراسخ أمام العواصف والرياح العاتية، ولا تبالي بالموت، وباغلاق قناته من قنواتها كقناة (العالم) وهذا يعني أن الإعلام استطاع ان يعطي فكر أهل البيت طابعه حتى خاف القوم على عروشهم ومستقبليهم، فإنه تسمع في كل يوم يدخل العشرات من الشباب المثقف في المذهب بكلوعى و اختيار وفي كل شهر بالمئات وفي كل سنة بالآلاف، وسرعان ما ينتشر معارف أهل البيت وعلومهم بين الأوساط العلمية والطبقة المثقفة والنخب الاجتماعية، ولكن يبقى على الإعلام أن يبذل أكثر فاكثراً، فإن الناس عطاشاً لمعرفة حقيقة أهل البيت طابعه وعلومهم ومعارفهم، فلم نصل إلى ما هو المطلوب، والذي يطمع إليه كل مسلم ومؤمن من حكومة الإسلام العادلة التي تعم العالم بظهور صاحب الزمان عليه السلام.

ج ٢ - إذا لاحظنا قمة الجبل والصعود إليه فإنه ما دام لم نصل إلى

أجوية الصفاء في مدينة كربلاء^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

ج ١ - إن الإعلام المضاد لمدرسة أئمة أهل البيت طابعه منذ اليوم الأول وبعد رحلة رسول الله محمد عليهما السلام وإنكار بيعة الغدير وغضب الخليفة الحقة أخذ يلعب دوراً فعالاً في إبعاد الناس عن أهل البيت طابعه، تارة بالترهيب، وأخرى بالترغيب، فكان الإرهاب والعنف وتصفية الشخص والشخصية التي تتبع مدرسة أهل البيت طابعه على قدم وساق، كما يشهد بذلك كتاب (مقاتل الطالبيين) ولا يزال هذا الإعلام الاموى والمروانى يعادى

١. أسئلة وأجوية لجريدة عراقية وكان اللقاء المبارك في حرم مولانا وسيدنا الإمام سيد الشهداء الحسين عليهما السلام بكرباء المقدسة في أيام عرفة سنة ١٤٣٠ هـ، وكان السائل الشاب المثقف المنتسب إلى الحرم الشريف الأخ الكريم صفاء سعدي دام عزّه.

إلى شاطئ السلام والسعادة.

ج ٤ - قبل سنتين كتبت رسالة بعنوان (فن الخطابة في سطور) وطبعت الرسالة في موسوعتنا الكبرى (دراسات إسلامية) وأشارت إلى أهم شروط الخطابة كفنٍ وكحِرفة بصورة عامة، وشروط الخطابة الحسينية بصورة خاصة، فان الحديث تارة عن الخطابة كفنٍ وأخرى في رحاب الشعائر الحسينية والمراسيم الدينية من الوفيات والاعياد المتعلقة بأهل البيت عليهما السلام. وهذه الشروط منها ما هي في داخل الخطيب كالاخلاص والصدق والعلم والمعرفة، وأن يكون عارفاً بأهل زمانه، ومنها ما هي خارج الخطيب كالمواكبة مع التطور التكنولوجي، وأن العالم أصبح قرينة صغيرة، والشدة المعلوماتية الهائلة والمتزايدة بالدقائق... ومن الله التوفيق والتسديد.

ج ٥ - إن الخطيب الإسلامي والحسيني لابد له من مؤهلات علمية وفنية تساعده إلى اداء دوره بامتياز رائع، وهذا يستدعي ان يكون عارفاً بالعلوم الحوزوية أولاً، بان يكمل لا أقل دورة المقدمات وهي ست سنوات، ودورة السطوح وهي ست سنوات أيضاً، بل ست سنوات لدرس الخارج في الفقه والاصول، كما عليه ان يكثُر من المطالعات الخارجية من الادب والتاريخ العام والتاريخ الإسلامي والعلوم الحديثة، وحتى قراءة المجلات والصحف ومتابعة آخر التطورات العلمية والحديثة والحوادث والواقع، واذا أراد ان يكون

القمة بعد ذلك ضعفاً ونقصاً، وإن كان أينما كانت على الجبل بالنسبة إلى ما تحته هو كمال وقوه، فالقضية حينئذ بنظر نسبية، فمن كان في وسط الجبل فانه بالنسبة إلى ما تحته كمال، وبالنسبة إلى ما فوقه نقص، وهذا أمر بدائي ووجوداني، وكما في صعود الجبل يحتاج الإنسان إلى معداته ووسائله وآلياته كذلك في أداء الاعلام الناجح والمطلوب والذي تقصد منه قمة النجاح، فحينئذ نشعر أنه عندنا ضعف ونقص. ولابد من بذل كل الجهود والطاقة الفكرية والمالية والصناعية الحديثة والمتطرفة، والتي توأكب العصر والطرق التي توصلنا إلى الكمال، هو أن نرجع في كل مجال وميدان إلى أصحاب الخبرة وذوي الكفاءات، وان نجعل الرجل المناسب في المكان المناسب، وهذا يتطلب منا أن نتعلّم العلوم العصرية، ونواكب الحداثة مع الحفظ على الاصالة، ونفوق الآخرين بالصمود والجهاد والتواصل، ومن طلب العلم سهر الليالي.

ج ٣ - إن المنبر الحسيني له قدسيته و موضوعيته وتاريخه المشرق والذي لا يزال يشع منه أنوار الامام الحسين سيد الشهداء عليهما السلام، وإنه في تطور بخطبائه الجيدين البارعين والمنبر لسان الاسلام، والمرجعية عقله المتفكر وقلبه النابض، فهناك علاقة وطيدة بين المنبر الحسيني وبين المرجعية، كما بين الخطباء الكرام والمراجع العظام، كل يدعو إلى الآخر من أجل تربية الناس وتعليمهم وسوقهم

في كل فن، إلا أن لفن الخطابة علمه الخاص بمعنى أنه لا بد ان يتعلم فن الخطابة كما يتعلم فن الخط والرسم، وبطبيعة الحال الفنون تتوارث وتنكمّل بجمالية فائقة، توّاكب العصر في التطور والازدهار، فالخطابة مدرسة وتراث وإبداع ومواهب وتجارب وعلم.

ج - شعبية المنبر لم تتراجع بل شركاء المنبر قد ازدادوا، فبالامس كان الناس والمنبر، في أماكن خاصة كالمساجد، واليوم المنبر في البيوت ومن خلال الفضائيات، بالأمس كان الناس والمنبر الواحد، في ساعة واحدة، وخطيب واحد، ومكان واحد، واليوم عشرات المنابر في دقيقة واحدة، ومع أي خطيب كان، فيكفيك بالريموت والكونترل ان تتنقل من مجلس لآخر وفي ثوان، لاختيار المجلس التي تريده، فهذا يجعله ان يجلس في البيت مع عياله وبلباس الراحة، وأمامه المأكولات والمشروبات، وليسمع إلى الخطيب المجاري بعد ما كان يستمع إلى الخطيب الحقيقي، والواقع ان شعبية المنبر قد إزدادت اذ بالأمس أكبر مجلس حسيني كان يضم الف نفر، واليوم بالملايين في بيوتهم يتبعون المحاضرة والمنبر الحسيني، وبهذا نقف على حقيقة ملموسة، وهي أنه لا بد من بذل كل الطاقات والجهود الفكرية والثقافية والمالية والعلمية والتربوية، كل واحد بحسب طاقته، من أجل إثراء المنبر الحسيني ليكون بالمستوى

نقاداً وسياسيًّاً يتبع الاخبار يوم بيوم، ليتفاعل مع الحدث، فمع سرعة الضوء يكون مسار الخطيب المعاصر، بل عليه اين يسبق الزمن بابداعاته وتعلّماته وفكرة الجديد والمبدع، وهذا ينتج من كثرة المطالعات المتنوعة، فانها تكون بمنزلة السحب الكثيرة في سماء ذهنه، ثم تراكم وتتضارب كما تتضارب الغيوم والسحب فيخرج منها الرعد والبرق، فيخرج من هذا الخطيب المكثر فكراً جديداً لاماً كالبرق، ويشتهر بين الاوساط المثقفة، ان الخطيب الفلاني أو المحاضر الفلاني عنده فكر جديد وينجذب اليه الجمّهور، ويخلص من المكررات التي ربما يملّ منها السامع والمخاطب.

ج - كان السلف الصالح من ورمه وإحتياطه أنه عند وصوله إلى درجة الاجتهاد ويستجيز استاذه في ذلك لتكون كشهادة علمية له، ولكن في يومنا هذا لم نجد لهذه السنة الحوزوية الحسنة من أثر، فكل واحد يدعى الاجتهاد سواء أكان محقاً أو غير محق، ولم يطالب بإجازة من استاذه، فقياس الخطيب بالمجتهد والخطابة بالاجتهاد في غير محلّه.

ج - لما كانت الخطابة - كما في علم المنطق - من الصناعات الخمس وإنها فن، وأن الفن يتبع إلى مهارة الفنان في أداء فنه كالخط والرسم والنحت والسينما والتمثيل، فحينئذ تجد من الخطباء من يبرع في خطابه ويكون كالنجم الّام، ومن نجوم الخطباء المشهورين كما

فهرس المطالب

.....	مقدمة	5
.....	مقام الخطيب والمبلغ في الاسلام	15
.....	تاريخ الخطابة	21
.....	قداسة المنبر	29
.....	الخطابة في القرآن الكريم	35
.....	مسؤولية المنبر	42
.....	في رحاب فن الخطابة	45
.....	من هو الخطيب الفاهم والخبير؟	53
.....	العوامل المؤثرة في بيان الخطيب المؤثر	62
.....	نقاط هامة تتفع الخطيب والمبلغ	84
.....	في رحاب الخطب والخطباء	100
.....	جملة من الكتب في المنبر والخطب	104
.....	أجوبة الصفاء في مدينة كربلاء	108
.....	فهرس المطالب	115

المطلوب، وإني أتفأل بالخير وبمستقبل زاهر لإعلامنا الهدف والرسالي ولمنابرنا الحسينية، التي تنقل اليانا ثورة الامام الحسين عليهما السلام الخالدة جيلاً بعد جيل إلى يوم الظهور والعصر الموعود، ودمتم بخير وتقديم وبتوفيق من الله العلي الأعلى، ثم الصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله الطاهرين، وأخص بالذكر من نحن بجواره وزيارتة متذممين، مولانا سيد الشهداء الامام الحسين، سائلاً من المولى القدير أن يتقبلنا بقبول حسن، وأن ينbirنا منبتاً حسناً، ومنفلياً خيراً، بحق سادتنا المحسنين، المحسن والحسن والحسين عليهما السلام، وأمهem فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وأبوهم علي أمير المؤمنين وجدهم خاتم الانبياء والمرسلين، وولدهم المعصومين عليهما السلام، لا سيما بقية الله في الارضين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العبد

عادل بن السيد على العلوى الكاظمى
كرباء المقدسة - العتبة الحسينية